عَنَاة

رواية

ماهر ذ عبول

عـــــنـاة

رواية

عَنَاة

ماهر دعبول

ببلومانيا
للنشر والتوزيع

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

- الكتاب: عناة
- المؤلف: ماهر دعبول
- نوع العمل: رواية
- الطبعة الأولى 1442 هـ - 2020 م - القاهرة
- الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر
- رقم الإيداع: 2020 / 15494
- الترقيم الدولي (ISBN): 9789776808829
- الرقم الكودي في ببلومانيا: bl00318
- لوحة الغلاف: ديما بري
- تصميم الغلاف: يوسف عليطو
- تنسيق وإخراج: فريق إعداد ببلومانيا
- المدير العام: جمال سليمان
- العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق – مول الديبلاك – مصر الجديدة
  عنوان (2): 29 شارع الكمال – الأميرية – القاهرة
- تليفاكس: 002026061014 - 002022402029
- محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201210826415
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.bibliomania.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببلومانيا للنشر والتوزيع

الإهداء:

إلى التي قالتْ لي ذاتَ يوم ضِحكتُكَ تُغيرُ العالم
ها قد تَغيّرَ عالمي عندما ضَحِكتِ.

ماهر دعبول
آذار 2020

البداية

ترنيم الحي الجنوبي

أين هم الملوك؟

ملوكُ الزمان القديم العِظام

الذين لم تعد النساء تحمل بمثلهم..

ولم تعد السماء تلد مثلهم

كم هي بعيدة السماء؟

اليد لا تعرف ذلك..

كم هي عميقةٌ الأرض؟؟

ما من أحد يعرف ذلك..

ماذا يفعل البشر؟

هم أنفسهم لا يعرفون معنى أيامهم ولياليهم..

إنّها بيد الآلهة..

رَبَانُو | 1340 ق.م

إنّ الاتصالَ بيننا وبين أجدادنا اتصالٌ كبيرٌ وعلاقةٌ وطيدة، إنّهم معنا في ثقافتنا وحضارتنا..

إنّ الإرثَ الذي تركوهُ لنا كنزٌ عظيمٌ..

وهذا عنوانُ محاضرتنا الأولى لهذا العام..

من مادة الفلسفة الشرقية، ومعكم مدرِسُكم المتواضعُ عُثمان.

سنبحثُ في الفلسفةِ الشرقيةِ القديمةِ ونغوصُ نحو أسلافنا لنفهمَ الطريقةَ التي يفكرونَ فيها وكيفَ يُفسّرون هذا الكونَ وظواهره.

فهم الذين شَيّدوا الحضارات، وأقاموا عمارة بقيتْ ليومنا هذا وقفزوا بالفكر لمرحلةٍ جديدةٍ. وأثرهم جليٌ في لغتِنا وثقافتِنا، وها نحن حتى يومنا هذا نقولُ إنّ الأرضَ التي تعتمدُ على المطرِ في ريّها إنّها أرضٌ بعلٌ أو أرضٌ بعليةٌ أو زراعةٌ بعليةٌ.

وهذه الكلمةُ قادمةٌ منذ أكثرَ من 3000 عام، حيث أنّ " بعل " هو إله المطر والرّعد في سوريا، وكثير من الحضارات القديمة القريبة منها.

وبقيتْ كلمةُ بعل تدلّ على المطرِ حتى يومنا هذا مع فِقدانِها معنى الألوهية، وذلك لعدمِ وجودِ الدياناتِ الوثنيةِ القديمةِ الآن.

وهذا مثالٌ مهمٌ للرّابطِ اللغوي بيننا وبين أسلافنا.

لذلك استعدوا، ففي الأيامِ القادمةِ سَنَتَعَلّمُ أكثر عن الأفكارِ والأديانِ والفلسفاتِ الخاصةِ بأسلافنا.

محاضرتنا اليومُ ستكون قصيرة فالقادمُ أعظم..

شكراً لحُسنِ استِمَاعِكم..

فكروا في هذه العبارات حتى محاضرتنا القادمة:

لا نستطيعُ أن نُحصي الأفكارَ التي خالجتنا في الماضي...

المكانُ هو الأبعادُ المدركةُ بالعقل..

الزمنُ عدادُ الحركة..

والصورةُ انعكاسُ الضوء..

الجسدُ لباسُ الأرض

فما هو الجوهر؟؟

فما

هو

الجوهر؟؟

انتهتْ المحاضرة.

بعد الانتهاءِ من محاضرتِه، توجهَ الدكتورُ عُثمان إلى مكتبِ عميدِ كليةِ الآدابِ والذي كان قد أرسلَ له رسالةً أخبرهُ فيها أنّه يحتاجه لعقد اجتماعٍ قصيرٍ.

- عُثمان: كيف حالكَ أستاذ وجدي؟
- وجدي: أهلاً وسهلاً دكتور عُثمان، تفضل، استرح..
- عُثمان: شكراً لكَ، آمل أنّ الاجتماع سيكون لأخبار سارة.
- وجدي: آمل ذلك أيضاً..

تم اختياركَ من قبلِ رئاسةِ الجامعة، لترافق موفداً فرنسياً قادماً ليجري بحثاً عن الحضارة القديمة في سوريا.

وسترافق الوفد وتشارك معه في بحثه كمنتدب من قبل الحكومة. ويعود اختيارك بسبب معرفتك الواسعة في التاريخ القديم ولسماتك الشخصية، فأنت مرنٌ وهادئ وشاب.

وأيضاً تم إرسال عنوان بريدك الإلكتروني ورقم هاتفك للقنصلية الفرنسية، وستصلك كل التفاصيل قريباً.

- عُثمان: شكراً لثقتكم، لكن عندي بعض التساؤلات حول طبيعة الدعم الذي سأقدمه لهم وهل سأكون جزءًا من البحث أم مرافق وداعم فقط؟

- وجدي: ستكون جزءًا من فريق البحث وتشارك في إعداده وإعداد تقارير النتائج التي سيصل إليها.

أعتقد أنّك ستتعاون مع باحثة فرنسية من أصول سورية تدعى "كَارمن."

رسالة جديدة

من :

Tulip.fr90@gmail.com

إلى :

Ossman.ph@gmail.com

عنوان الرسالة: تعاون في بحث سوريا.

تحياتي سيد عُثمان،

آمل أنّ كل شيء على ما يرام،

تم تزويدي ببريدك الإلكتروني، للتواصل معكَ بخصوصِ البحثِ المشتركِ الذي نودُّ القيامَ بهِ في سوريا.

وبدايةً أُعرفكَ بنفسي أنا كَارمن باحثةٌ ومتخصصةٌ في آثار ولغات الحضارات القديمة، ودرستُ في جامعة ليون في قسم علم الآثار.

وسوف أسردُ لك الآن بعض أهدافِ البحثِ:

يهدفُ البحثُ لدراسة مدينة أوغاريت ودراسة الرُقُم الأوغاريتية القديمة، والبحث عن المفقودِ منها، ومحاولةِ إيجاد الجُزءِ غير المكتشف من المدينة.

وسنحاول أيضاً دراسة وتحليل النصوص والأساطير الخاصة بهم.

آمل أن يكون بيننا تعاون مثمر ونصل إلى نتائج جيدة.

سأرفق لك ملفاً يشرح بشكل مفصل عن البحث وخطته، وأنتظر نصائحك وتعليقاتك.

ملاحظة: سأصل سوريا خلال يومين وآمل أن نبدأ العمل سريعاً وأنا متحمسةٌ لمشاركتكَ هذا البحث.

كل الشكر..

أطيب التحيات..

كَارمن | باريس.

خرجتُ من الجامعة، أسيرُ في أسواق وشوارع دمشقَ وأعودُ بخيالي نحو أسلافنا الأوائل.

كيف يا تُرى كان مظهر دمشق عندما قَدِمُوا إليها؟

كيف شقوا أولَ طريق فيها؟

أين ناموا؟ هل في منازل أم على الأشجار أم في الخيام؟

وماذا كانوا يعملون؟

أعتقد أنّ دمشق بدأت بمجموعة من البيوتِ الطينية المتقاربة والتي كان سُكانها بسيطون جداً، يأكلون سوياً ويغنون مساءً وينامون دون هموم.

وفي الصباح يستفيقون ليعملوا ويقضوا باقي يومهم وهم ينظرون نحو السماء..

كم هي جميلةٌ السماء؟

في نَهَارِهم يَنْظُرُونَ زُرقة السماء وتَمايُلَ الغيومِ فيها. وليلاً يُراقبون الشُهبَ والنجومَ، وينظرونَ سِرَّ هذا الإبداعِ الهائلِ من المصابيح المعلقة التي تُدهِشُ كُل ناظر.

السماءُ أدهشت البشرية منذ آلاف السنين، ولازالت حتى يومنا تُدهشهم.

كم قدماً سارت هنا؟

وكم تغيرت أحوال هذه البلاد؟

أتساءل دوماً من هو أسعد إنسان؟

هل هو الإنسان الذي عاش في الماضي؟ أم الذين يعيشون في الحاضر؟ أو هو الإنسان القادم للمستقبل؟

لو كان بإمكان البشرية اليوم السفر عبر الزمن، لخضت تلك التجربة والرحلة بكل شجاعة وفضول، رغبة منّي في الكشف عن ذاك السر، والإجابة عن كل التساؤلات حول الماضي والمستقبل.

ولكن كمدرس للفلسفة أعتقد أنّ الأمر معقدٌ جداً، أكثر من كونه رحلة فيزيائية تتحدى سيرورة الوقت.

فلو عدتُ للماضي قبل عشرين عاماً من اليوم حينها كان عمري عشرة أعوام. وعلى فرض أنّي قمت بذلك عبر مركبة فضائية للسفر عبر الزمن ووصلت لمنزلنا.

سيكون في منزلنا شيء غير منطقي، حيث سأكون أنا عُثمان الشاب في المنزل وأيضاً عُثمان الطفل في ذات المنزل ونفس الوقت.

فمن هو عُثمان الحقيقي منهم؟

وهل يُعقل وجودي مرتين في نفس المكان والزمان؟

وعلى فرض أنّي حَمَلتُ مُسدساً وأطلقتُ النارَ على عُثمان الطفل.. هذا حتماً سيُلغي وجودي "أنا" من المستقبل. أي أنّي بذلك أحدثتُ مغالطة في تسلسل الأحداث عبر الزمن، وأنّ التغيير الذي قمتُ به في الماضي يفضي أنّي لن أكون موجوداً أصلاً لأسافر وأقتل عُثمان الصغير الذي قتلته..

إنّها دوامة كبيرة.

يجب أن آخذ قِسطًا من الراحة، فغداً يجب ألتقي الباحثة الفرنسية في المطار ونذهب سوياً إلى اللاذقية لنبدأ المهمة، وآمل أن يكون كل شيء على ما يرام.

سأمرُ على مطعم شاورما لأتناول وجبة سريعة، الشاورما رائعة فهي جميلة ولذيذة ونحن السُوريون نعشق الشاورما.

لا أدري السبب في هذه العلاقة الوثيقة بيننا.

نحن أوفياء للشاورما وهي دائمًا لذيذة.

وأيضاً سأجلبُ لأمي كيلو من حلويات الكُنَافَة ونشربُ القهوة معاً هذا المساء، فغداً لدي الكثير من العمل.

دخلتُ محل حلويات، وكان المُدهشُ عنده أكثرَ من مذاق الحلويات هو طريقة عَرضِها، فهو يضعها في صواني نحاسية ويرتّبها كأنّها لوحة فنية ويُرتِبُ الفستق الحلبي وكأنّه فسيفساء، ويجعل من "اليبرق" هرماً كبيراً أخضر اللون.

الفنان فنان مهما كانت مهنته، فمن لديه روح فنان سيبدع ويُصدر الجمال أينما كان.

"كَارمن"

يا إلهي، تأخرَ الوقت ويجب أن أذهب حالاً للمطار.

ارتديت ثيابي وانطلقت مسرعاً نحو المطار، وبعدما وصلت وقفت أنتظر.

لكن، كيف سأعِرفُها بين هذه الجموعِ؟

توجهت لأحد العاملين في المطارِ، وأخذتُ منه ورقة وقلم وكتبتُ على الورقة اسم "كَارمن.."

ووقفتُ أنتظرُ في ساحة الاستقبال..

تلك الفتاة تقتربُ مع ابنها الصغير، لا أعتقد أن باحثة ستأتي في مهمة رسمية مع طفلها، ليست هي..

وتلك فتاة محجّبة قادمة نحوي، أيضاً لا أظنها ستكون محجّبة..

سأنتظر يجب أن تصل الآن..

وفجأة ظهرت فتاة شعرها أشقر وتضع نظارات طبية وتحمل حقيبة صغيرة على كتفها وأخرى تجرها وفي يدها تحمل جهاز حاسوب محمول، وهي تَجُولُ بعينيها بين الحاضرين.

نظرتْ إليَّ وابتسمتْ.

إنّها هي..

- عُثمانHello, I am Ossman :

Are you Carmen?

- كَارمنYES :

كيفك أنت؟

- عُثمان: أهلاً وسهلاً، تتحدثين العربية؟

- كَارمن: طبعاً، أنا أتحدث العربية لأنّي من أصول سورية، والدي سوري.

- عُثمان: جميل، سررتُ بمعرفتك..

سنجلس قليلاً في المقهى لنحدد خطتنا بشكل جيد ومن أين سنبدأ وبعدها ننطلق.

- كَارمن: حسناً، شكرًا لك، يجب أن نبدأ من اللاذقية كم نحتاج لنصل إلى هناك؟

- عُثمان: سوف نسافر بالطائرة ونصل سريعاً ونرتاح اليوم لنبدأ غداً صباحاً.

- كَارمن: اتفقنا، شكرا لك.

.....

وصلنا بعد رحلة جميلة شاهدنا فيها المدن السورية من السماء وكأنّ الأرض تبدّلت لسماء والمنازل صارت نجوماً وأجرام.

سوريا هي سماء الأرض..

وصلنا وانتهى يومي بنوم عميق، بانتظار الغد الذي سيبدأ باجتماع مع كَارمن لتحديد خطّة البحث بشكل واقعي.

ونبدأ..

الشمسُ تشقُ طريقها في السماء كثورةٍ على عتمةِ الليلِ، لا أدري هل الظلامُ هو الأصل أم الضوء؟

هل الشمسُ هي من تُقلِقُ عتمة الليل أم أنّ الليل هو من غافل الشمس وحلَّ كثوبٍ أسود على السماء أم أنّ هذا التناوب هو جمال وسر هذا الكون.

الظلمة يتبعها النور..

والألم يتبعه الأمل..

والحزن يليه الفرح.

الفَلسفة غيرتني كثيراً، الفلسفة تجعل منّا أشخاصًا بأسئلة كبيرة وكثيرة.

جلستُ أشرب قهوتي صباحاً في انتظار أن يبدأ هذا اليوم ويبدأ اجتماعي وكَارمن.

سأرسلُ لها رسالة لتأكيد لقاءنا في تمام الساعة الثامنة صباحاً، أي بعد 25 دقيقة من الآن.

سأنزل وأجلس في المقهى ريثما يحين اللقاء.

جميلة جداً اللاذقية في فصل الربيع، هي عروس البحر وعروس الجبل.

يهب النسيم العليل القادم من البحر ليصل إلى أعماق الروح ويتحرك البحر مداً وجزراً وكأنّه يرقص بسعادة مع الشاطئ.

وصلت كَارمن كانت ترتدي ملابس بسيطة وجميلة وتحمل معها حقيبة صغيرة وجهاز حاسوب محمول، وجلستْ بعد ابتسامة بسيطة، قالت:

Bonjour

عُثمانBonjour :، كيف الحال اليوم؟

كَارمن: بألف خير.

عُثمان: وأنتِ، كيف وجدتِ أوّل يوم لكِ هنا.

كَارمن: جميل، نِمتُ بعمق، كنتُ متعبة من السفر.

عُثمان: هل أطلب لكِ القهوة؟

عُثمان: بالتأكيد، هذا لطفٌ منكَ.

كَارمن: هل نبدأ؟

عُثمان: أنا جاهز، من أين نبدأ؟

كَارمن: سأخبرك بمعلومات مهمة عن أوغاريت، أعلم أنّك تعلمها لكن من الجيّد أن نبدأ بها.

بدايةً اكتُشفت مدينة أوغاريت عام 1928م وكان الاكتشاف صدفة عن طريق مزارع يدعى "محمود الملا" وبعد عمليات التنقيب عُثر على المدينة التي تضمُ قصراً ملكي، بمساحة 1000 متر ومدفن أرضي ملكي. ومن أهم ما وجد "أبجدية أوغاريت" التي تُعد أقدم أبجدية وأول أبجدية عرفها التاريخ وأيضاً عُثر على مقطوعةٍ موسيقية مدونة.

وأيضاً عثر على رُقم طينية التي كتب عليها أدبيات وأساطير أوغاريتية مهمة جداً.

- عُثمان: جميل ولكن من أين سنبدأ؟ وإلى أين؟

- كَارمن: أعتقد يجب أن نزور المدينة محاولين تحديد الجزء غير المكتشف منها، وكما يجب أن نبحث عن الرُقُم فأنا أعتقد أنّ هناك الكثير من الرُقم الغير مكتشفة.

- عُثمان: من المهم دراسة الرُقُم والأساطير المكتشفة والبحث عن أسرار هذه الحضارة ومعرفة أفكارهم. فهذا سوف يساعدنا كثيراً.

- كَارمن: أتفق معك، متى يمكننا الذهاب لزيارة المدينة كجولة استطلاع هناك؟

- عُثمان: الآن، سنشرب قهوتنا وننطلق.

- كَارمن: رائع..

"أوغـــــاريــت"

انطلقنا باتجاه الشمال، كانت أوغاريت تبعد حوالي 10 كيلو متر عن مدينة اللاذقية، مقتربة من الشاطئ متربعة بين الجبال والبحر..

وينتشر حولها زهرة الشمر أو الشمرة التي سميت المنطقة باسمها "رأس شمرا."

السماء زرقاء تزينها الغيوم التي لا تكف عن الحركة، والشمس ترسل أشعتها في كل مكان فتجعله أكثر بهاءً.

كنت أقود السيارة متأملاً جمال المكان بهاء الربيع فيه.

عُثمان: هل الطقس هنا يشبه الطقس في فرنسا؟

كَارمن: كثيراً، النباتات والربيع والسماء والدفء الربيعي هو ذاته هناك.

عُثمان: جميل، كي لا تشعري بالغربة هنا..

كَارمن: لا تنسى أنّني سورية لذلك يجب أن أشعر بالوطن هنا..

عُثمان: هل تشعرين أنّ وطنك هنا؟

كَارمن: نعم، كنت دوماً أفكر في وطني، كنت أعيش في فرنسا التي درست فيها وعشت فيها، ولكن كان هناك شيء داخلي يقول لي أنتِ من هناك..

لا يستطيع الإنسان أن يخلع وطنه عنه وكأنّه قميص.

إنّها المرة الأولى لي التي أزور فيها سوريا لكنّي أعرف الكثير عنها، فوالدي كان يخبرني الكثير.

حتى إنّني وشمت على ساعدي اسم سوريا باللغة العربية.

عُثمان: جميلٌ جداً أن تحملي هذا الانتماء القوي دون تزوري سوريا أبداً، كثيرٌ من الناس لا يحمل قوة انتمائك.

كَارمن: الناس لا يميزون بين الوطن وبين لصوص الوطن، فهم يعيشون في دوامة كبيرة من الشقاء، ظانين أنّ الوطن هو السبب.

والحقيقة أنّ الوطن ضحية سارق مستبد وصامت خائف ومتباكي يندب حظه ويشتم وطنه.

عُثمان: أتفق معك كلياً، ماذا تعتقدين أنّنا سنجد في أوغاريت؟

كَارمن: إنّ حضارةً مثل أوغاريت تخفي أسراراً كبيرة وإذا ما اكتشفناها سنقدمُ للبشرية خدمة عظيمة، ستساعدنا على معرفة الإرث الحضاري لأجدادنا وقياس مدى التطور الحضاري والقدرات الخاصة بأسلافنا، والسر وراء الرُقُم الطينية.

عُثمان: يجب أيضاً أن نحاول تحديد الجزء المفقود من المدينة للتنقيب عنه، وأن نوصي بترميم المدينة لتشبه قدر الإمكان الحال الذي كانت عليه سابقاً.

كَارمن: صحيح، لقد شاهدت صور المدينة، لدينا الكثير من العمل.

عُثمان: وصلنا نحن الآن على أبواب المدينة.

وصلنا للمدينة، مشينا في طريق ترابي وتتناثر حولنا بقايا المدينة، الربيع ألبس أوغاريت حُلة خضراء نمتْ على جدران المدينة المهجورة، فالربيع قوة الجمال.

هناك غرفة بسيطة مربعة فقدتْ سقفها مع مرور الزمن قد تكون لبساطتها لامرأة تعيل أطفالها وتضمهم كل يوم من برد الشتاء. وتلك غرفةٌ واسعة تحيط بها مجموعة من الغرف أعتقد أنّها لرجل من عليّة القوم كان لديه الكثير من الأحلام والطموحات، كلهم رحلوا وبقيت المدينة كنبوءة.

عُثمان: انظري كارمن لهذه المدينة، أفكر دوماً كيف سيكون شعور سكانها إذا ما زاروها اليوم وهي ركام.

كَارمن: حال المدينة محزن، إنّها خراب، أستغرب كيف لم يقم أحد بترميمها ومحاولة إحياء مبانيها، إنّها إرث حضاري.

عُثمان: يجب أن ندعو لذلك، يجب أن تستعيد هذه المدينة عافيتها.

أنا أرى تاريخ هذه المدينة بغموض فالذي نعرفه حتى الآن لا يعطي معرفة كافية عنها، إنّها مدينة بحضارة واسعة لم نعلم عنها إلّا القليل وهذا ما يبعثُ الأمل نحو بحثنا لمعرفة أسرار وخفايا هذه المدينة. فمعرفتنا لتاريخ هذه المدينة وكسر الغموض حولها سوف يساعدنا كبشرية للتقدم في ركبنا الحضاري السائر نحو المستقبل.

كَارمن: يجب علينا إعادة بناء الذاكرة الخاصة بنا، وسنحاول دراسة تاريخ هذا المدينة لنشكّلها من جديد. فالتاريخ هو عبارة عن واقع غير موجود، والبحث في التاريخ الاجتماعي لهذه المدينة سيقدّم لنا الكثير. وأيضاً نحن بحاجتكَ لتأوّل لنا فلسفتهم، فشخصياً لا أعتقد دومًا بالتفسير

الأسطوري الذي يلجؤ له المؤرخون والفلاسفة لتفسير ديانات الحضارات القديمة.

أعتقد أنّ هناك فجوة ما.

عُثمان: سنحاول، انظري، هذا المدفن الملكي، يسمى مدفن "رَبَانُو" الملكي..

وفيه سبع درجات كل درجة ترمز لمرحلة من مراحل الحياة الإنسانية.

تبدأ الدرجة الأولى: من مرحلة التكوين وهي مرحلة الحمل وتنتهي بالمرحلة الأخير وهي القبر.

فالمراحل هنا التي ترمز لهم درجات المدفن هي:

الحمل

الولادة

الطفولة

الشباب

الرجولة

الكهولة

الموت

القبر.

كَارمن: مُبهر، أرى أنّ هناك شيء مميز في هذه الدرجات، وهو اعتبار الحمل والقبر جزء من مراحل الحياة.

عُثمان: صحيح، إنّهم يعتبرون القبر وسيلة نحو حياة أخرى، فإنّ الحياة دائرةٌ متجددةٌ هكذا أظن، فهم الذين يقولون:

"الروح تنطلق إلى الخارج كنحلة وتهيم في الفضاء"

كَارمن: إنّه شيء مثير للاهتمام، دعنا نسير في المدينة، هل يمكن أن تخبرني أحد أساطير هذه المدينة التي وجدت على الرقم؟

عُثمان: بالتأكيد، سأخبرك أحد أهم الأساطير والقصص التي سردوها وهي تنم عن وعيهم السياسي والفكري واستخدامهم للقصة كوسيلة لنشر الوعي السياسي.

وهي أسطورة "كارت" وتقول هذه الأسطورة:

كان في أوغاريت ملك يدعى كارت وكان هذا الملك عقيماً لم يرزق بأولاد فابتهل ربه كثيراً وطلب منه زوجة تنجب له ولداً، وضرب عهدًا للإله إيل أنّه سوف يحسن لشعبه ويرفق به إذا رزقه بطفلٍ ذكر. وسمع إيل دعائه وتقبّل منه عهده وزوّجه بأجمل بنات الأرض ورزقه بولد صالح، لكنّه خان العهد وجوّع شعبه وظلمهم واستبد بهم، فعاقبه إيل عندما أصبح كهلاً. حيث أجبره ابنه على التّخلي عن العرش عنوة ليصبح هو الملك، ويعاقبه إيل على استبداده بالناس.

كَارمن: أسطورة مشوقة، أعتقد أنّها كانت وسيلة لترويع الملوك من ظلم شعوبهم.

عُثمان: نعم، وأيضاً كانت رسالة؛ أن الظلم لا يدوم والملك يرحل ويأتي ملك أخر.

سأقصّ عليك في المرة القادمة أكثر الأساطير جمالاً وهي أسطورة عَنَاة وأقهات.

كَارمن: أنا أنتظر سماعها، ستفيدنا هذه الأساطير، في المرة القادمة سنأتي ومعنا فريق التنقيب لنبدأ التنقيب والبحث عن الرقم والآثار المفقودة والجزء الغير مكتشف من المدينة.

عُثمان: لنعود الآن إلى اللاذقية، وغداً صباحاً نعود إلى هنا، سنصعد إلى الجبل غدًا لنرى المدينة من الأعلى، قد يدلنا ذلك على شيء ما.

كَارمن: هيا بنا، أتضور جوعاً، هل يمكن أن تأخذنا لنأكل.

عُثمان: بالطبع سوف نأكل أشهى الأطعمة السورية، وسنذهب قبل ذلك جولة في المدينة،

لتتعرفي عليها أكثر.

كَارمن: رائع، شكرًا جزيلاً.

انطلقنا وقبل غروب الشمس وصلنا إلى المدينة.

اللاذقية أجمل المدن، أكثرها رقة ودفء ورومانسية وأقرب المدن للروح.

مررنا في كل أحياءها وشوارعها..

جميلة هي اللاذقية بكل ما فيها.

مررنا على الصليبة والأشرفية والرمل الشمالي، شيخ ضاهر، شارع 8 آذار، العونية والرمل الجنوبي.

وصلنا للمطعم، إنّه مطعم رائع يقع على شاطئ الكورنيش الجنوبي في إطلالة رائعة وكأنّه سفينة راسية، صُمم المطعم بشكل يبعثُ السكينة والراحة فمقاعده الخشبية وإضاءته الخافتة مبهرة، وعند الغروب يصير الجلوس فيه وتأمل الشفق الأحمر فوق البحر منظرًا خلاباً جداً.

تناولنا السمك البحري، واللحم المشوي. في اللاذقية السمك يعد طعاماً أساسياً ورائعاً.

كَارمن: الطعام لذيذ جداً، واللاذقية عروس البحر، مبهرةٌ ببيوتها وحاراتها وبحرها وقلعتها وكل ما فيها يجعل من اللاذقية مدينة تسكن القلب.

اللاذقية مدينة تسكنُ قلوب زوارها وتطبعُ على جبينهم قُبلة حب ليعودوا إليها دوماً.

عُثمان: نعم، اللاذقية وبحرها وكل تفاصيلها هي صور وذكريات كل السوريين، إنّها عاصمة قلوبهم، يأتون إليها ليرموا خلف ظهورهم كل الهموم ويرتاحوا في جِنانها.

اللاذقية جنة السوريين، طبيبهم النفسي الذي يأتون إليه عندما تتعبهم الحياة ليرتاحوا وينامو على شاطئها لبرهة من الزمن.

.....

أصداء من أوغاريت

علينا أن ننصت للأصوات داخلنا

فهي وحدها التي تُطربنا

استفقتُ في الصباح وأول ما تذكرته هي أول مقطوعة موسيقية مدونة في العالم. وهي الموجودة في أوغاريت وسمعتها منذ فترة، لقد عزفها الموسيقي السوري "مالك جندلي" وأطلق عليها اسم "أصداء من أوغاريت."

موسيقى رائعة، من أجمل ما سمعت، لا أدري كيف نُظِمَت أول مرة، كيف عُزِفَت بهذا الشكل البهيّ..

أغمضتُ عيني وأنا أستمع لها لأكثر من عشر مرات، أخذتني لعالم آخر، نحو أوغاريت.

نحو المدينة القديمة، للقصر الملكي، لساحات المدينة.

شكراً مالك جندلي لأنّك سمحتَ لي أن أعيش هذه التجربة الروحية.

لأنك سمحتَ للموسيقى أن تمتزج بروحي..

روحي ورقة تتحرك في السماء، تأخذها الريح يميناً وشمالاً، تترنح بانتظام بفوضى، بفوضى مرتبة.

الحياة هي ترنحنا المستمر، رقصنا الدائم على وقع موسيقى قلوبنا، رفيف قلوبنا..

صرت أميلُ برأسي بحركةٍ صوفيةٍ فريدةٍ، يميناً وشمالاً وأنا أستمع لموسيقى أوغاريت.

اجتمعَ العازفون، جلسوا بشكل دائري تحلقوا حولي وبدؤوا العزف. كانوا عارين الصدر، خمس فتيات ورجلين والمطر ينهمر، والموسيقى تستمر وتستمر..

وبدأتُ أرقص بينهم وأدور..

الموسيقى خمرة المُطرَبِينَ وسكرة الروح..

ما أجملها! وما أطربني بها!

فتحتُ عيني فجأة، كان هاتفي يرن، إنّها كَارمن، أخبرتني أنّنا تأخرنا..

يا إلهي لقد غصت في الموسيقى وغرقت فيها دون أن أشعر بمرور الوقت، الموسيقى أقوى من الزمن والأغاني باقية دواماً.

ركبنا السيارة أنا وكَارمن وانطلقنا باتجاه أوغاريت رافقتنا سيارة فريق التنقيب..

كَارمن: كيف حالك اليوم؟

عُثمان: بألف خير، كنت اليوم أستمع للمقطوعة الأوغاريتية بعد أن حاكها الموسيقي مالك جندلي باسم أصداء من أوغاريت.

كَارمن: رائع، يجب أن ترسلها لي لأستمع لها، هل يمكن أن تخبرني اليوم عن أسطورة أقهات.

عُثمان: بالطبع.

إنّها ملحمةٌ وأسطورةٌ رائعةٌ لكن بعضها مفقود بسبب التّلف والتّحطيم.

وهي تعتبر جُزئين، فالجزء الأولُ منها يتحدث عن "دانيال" وهو أحد القادة الكبار وكان يُعرفُ عنه الحكمة والاستقامة ولكنّه كان عقيماً.

وذهب للآلهة يقدم لها القرابين ويتضرّع لها بأن تهبه ابن يرث ملكه، وفي اليوم السابع من دعاءه وبكاءه يشفق عليه "بعل" وهو إله المطر ويتعهد له بالتوسط عند كبير الآلهة، ليزيل عنه لعنة العقم ويتوجه بعل إلى مقر الإله الأكبر "إيل" ويحاول التوسط له.

وبالفعل تحمل زوجة دانيال بطفل وتنجب ويطلق عليه دانيال اسم "أقهات" وهنا يبدأ الجزء الثاني من الأسطورة.

يكبر أقهات ليصبح شاباً قوياً ومتمرساً في الصيد والمُعاركة. وتنتشر عنه الأخبار وأيضاً كان أقهات جميلاً جداً وحسن الطلعة مما جعله محط إعجاب الجميع.

وقد منح الإله كوثر، إله الحِرَفِ والصناعة جُعبته ونِبِاله وقِوسه كهديةٍ لأقهات، وكان القوس جميلاً وعجيب الصنع.

وفي يوم من الأيام أولمَ دانيال وأقهات لآلهة تسمى عَنَاة ودعوها إلى منزلهم وكانت تأكل اللحم المشوي وتشربُ الخمرَ بشراهةٍ واضحة وغمرتها السعادة لهذه الدعوة.

وعرض عليها أقهات القوس العجيب الذي لديه، فأبهرها جماله وهي الخبيرة في الصيد وأدواته وأرادت أن تمتلك هذا القوس فرمت كأس الخمر وقالت لأقهات:

اسمع يا أقهات، أيها الفتى البطل:

اطلب فضة مني أعطيك

اطلب ذهبًا مني أهبه لك

ولكن أعط قوسك لعَنَاة

أعطها جعابك ونبالك.

يفكر أقهات في هذا العرض، ويقول لعَنَاة أن تطلب من الإله كوثر أن يصنع لها قوساً مثله فترد عَنَاة عليه:

اطلب الحياة يا أقهات، اطلب أيّها البطل

اطلب الحياة أعطيك الحياة والخلودّ أهبه لك

فتستوي مع بعل بسنوات الحياة

وتستوى بالشهور مع أبناء إيل.

يغضب أقهات ويهين عَنَاة ويقول:

لا تكذبي عليَّ أيّتها البتول

أليس كذبك على البطل عيبًا!

ما هي آخرة الإنسان،

وما الذي يأخذه من دنياه؟

يُصَبُ الترابُ على رأسهِ

والجصُ على جُمجمته.

سأموتُ مثل كلِ إنسان فان

كبقية الموتى، نعم سأموت.

شيء آخر أريد قوله لك:

إنّ القسوة مُعدَّةٌ للرجال

فهل عرفت النساء الصيد قط!

وهنا غضبت عَنَاة كثيرًا، فأقهت انتقص من قدرتها كآلهة على مد عمر البشر. وكما أيضاً انتقص من قدراتها ومهارتها في الصيد.

وهنا ضحكت عَنَاة وهي تقول والغيظ يأكلها :

التفت إليَّ يا أقهات، أيّها البطل

واسمع ما أقوله لك:

إذا لقيتك في دروب الشر

إذا وجدتك في دروب الخيلاء

سأصرعك تحت قدمي يا أجمل الناس وأشدَّهم.

وتقول الأسطورة إنّها ركلت الأرض بقدمها، وتوجّهت نحو إيل عند منبع النهرين، وسط مجرى الغمرين. ودخلت عرش إيل، وجاءت قصر الملك أبي السنين.

وعند قدمي إيل سجدت، انحنت له وبجلته، ثم تكلّمت بالنميمة على أقهات.

رفعتْ صوتها وصاحتْ:

ابنة بيتك قد أهينتْ

لا تفرح، ولا تبتهج لشموخ هيكلك..

سأجعل الدم يجري في شعرك الأبيض

وأشيب لحيتك، أغرقها بالدماء

فادعُ أقهات لينجيك مني،

ونادي ابن دانيال لينقذك من قبضة البتول.«

أجابها اللطيف، إله الرحمة:

أعرف أنّكِ دمثة يا ابنتي

وأنّه ليس في الإلهات دناءة

اذهبي واكبتي غضبَ قلبك

والخزيُ الذي في قلبك احفظيه في صدرك

فإنّك دوسًا ستدوسين الذي يتعقبك.

تفرح عَنَاة لمباركة إيل انتقامها من أقهات، وتخرج من عنده وهي تضحك. وترسل أحد خدمها ليأخذ القوس من أقهات ويقتله وتعده أنّها ستحوله إلى نسر إذا قام بذلك.

ويذهب بالفعل ويرى أقهات يأكل فيغدر به ويقتل أقهات بضربة على رأسه وينتزع القوس ويطير به بعد أن أصبح نسراً لكن القوس يسقط في البحر ويضيع في أعماقه.

فتبكي عَنَاة كثيراً وتنوح وتحزن، لأنّها قتلت أقهات وضيّعت القوس، وتندم على ذلك فتأخذ على نفسها عهداً أن تعيد أقهات للحياة.

وقد حلّ القحط بالناس، وغاب المطر بسبب موت أقهات ولكن أخت أقهات "فوغة" تتوعّد أن تنتقم لأخيها .

ارتدت فوغة زي جندي، وتقلدتْ خنجرًا، وارتدتْ فوق ذلك كله ثوبًا نسائي، وذهبت تبحث عن خادم عَنَاة الذي قتل أقهات، انطلقت في البراري تبحث عنه وتجول الحضارات تحاول إدراكه كي تأخذ بثأر أخيها.

وفجأة تجده على أطراف الصحراء يجلس بين رعاة الغنم في الخيام وتدخل وتسلم عليه فيدعوها الخادم بعد أن عرفها، وجهل غاياتها إلى الطعام والشراب.

وتجلس فوغة تصبُ في كأسه الشراب وهي تترقب اللحظة المناسبة لقتله.

وتظل تسقيه حتى يسكر ويغيب بعض عقله ويبدأ يقول:

أنا من قتل الأمير الشجاع، أنا من قتل الصياد الجميل..

وهنا تغضب فوغة أكثر وتشتعل نار الانتقام وتزأر كأسد، وتهتاج غضباً كأفعى..

ومع الأسف أنّ باقي النص مفقود ولا نعرف لمَ انتهى التدوين هنا، ولم يكتب هل قتلته فوغة وانتقمت أم لا؟

هل أعادته عَنَاة للحياة؟

أعتقد هنا أنّ هناك رقيم أخر يكمل القصة..

كَارمن: رائع، قصة جميلة وحزينة، أعتقد أنّ هناك شيء من الأساطير واقعي، لكنّه ومع الوقت تضخم ليبدو خيالياً بهذا الشكل، القصة منسجمة مع الطبيعة البشرية.

عُثمان: صحيح، إنّها تعبر عن طبيعتنا، الغضب، الغيرة، الانتقام والحب.

وصلنا، هيا لننزل، أعتقد يجب أن نصعد إلى منطقة مرتفعة ونرى المدينة من الأعلى قد يدلنا ذلك على شيء ما.

كَارمن: حسنا، موافقة.

صعدنا لمرتفع يقع شمال غرب المدينة كان جرفًا عالياً نسبياً، ونظرنا للمدينة..

كانت المنازل والقصور بلا سقوف مما جعل منها تبدو كمربعات داخلها الكثير من الخضرة..

المدينة كبيرة جداً أعتقد أنّها تمتد للمناطق المحيطة..

كَارمن: من أين سنبدأ التنقيب والبحث؟

عُثمان: أعتقد يجب أن نبحث حول المدينة، فأعتقد أنّ أوغاريت أكبر من ذلك.

كَارمن: من المهم جداً البحث في منتصف المدينة فمعظم مراكز المدن هو المنتصف.

عُثمان: صحيح، لقد كان القصر في المنطقة الأقرب للبحر مما يجعله آمن من الأطماع.

وأعتقد حضارة كأوغاريت تمتد أكثر بكثير من المكتشف حتى اللحظة.

كَارمن: أين جبل صفون؟ قرأت عنه في أحد الكتب حيث كان مهماً جدًا للديانة الأوغاريتية.

عُثمان: كان الجبل ضمن حدود سوريا حتى عام 1939 م، ولكن فرنسا لم تخرج من سوريا حتى قدمته هدية مع منطقة لواء اسكندرون لتركيا، فالجبل المهم لأجدادنا صار في دولة أخرى.

كَارمن: هذا مُحزن جداً..

هل تعتقد سيد عُثمان أنّ مدينة كأوغاريت قد تعود للحياة؟

عُثمان: لا أعتقد، المدينة ماتت ولم يبقَ منها سِوى الرُكام، ولكنّها إرث حضاري مهم نتعلم منه ونستفيد..

قلتُ ذلك وأنا أمشي، وفجأة سمعتُ صوتَ امرأة تقول:

"أعلم أنّ أوغاريت مدينةً منسيةً

لكنّها مدينةٌ لا تموتْ"..

عُثمان: كَارمن هل قلتي شيئًا لي؟

كَارمن: لا لم أقل، كنت شاردةً فقط.

عُثمان: سمعتُ صوتاً ما، كان صوتاً يشبه صوتك.

كَارمن: يبدو أنّكَ متعب، ماذا كان يقول الصوت؟

عُثمان: ليس مهماً، يبدو أنّني متعب قليلاً.

هل يمكننا أن نعود ونكمل عملنا غداً؟

كَارمن: حسناً أَملُ أن تكون بخير.

سرنا نحو السيارة وأنا أفكر في ذاك الصوت الذي قال لي أن أوغاريت مدينة لا تموتْ.

تُراها مُجرد أوهام بسبب التعب أم أنّها كَارمن..

لا أدري..

فجأة مررنا أمام المدفن الملكي، وقفتُ لدقيقة أتأمل بوابة المدفن، والدرجات..

لا أدري لِمَ توقفتُ هنا، لكن هناك شيء ما جعلني أقف لأنظر لهذه المقبرة.

هممتُ بالابتعاد لكنّي جلستُ في الأرض عندها عاد الصوت ليقول:

أعلم أنّ أوغاريت مدينةً منسيةً

لكنّها مدينةٌ لا تموتْ..

يا إلهي ماذا يحصل؟

أغمضتُ عيناي قليلاً، حاولتُ أن أستجمع قِواي، ماذا يَحصلُ لي..

يجب أن أرتاح قليلاً..

كَارمن: عُثمان، هل أنت بخير؟

عُثمان: لا أعرف، يجب أن أرتاح قليلاً.

شربتُ بعض الماء وبدأتُ القيادة باتجاه الفندق، وبعد وصولنا توجهت سريعاً نحو الحمام، وضعت رأسي تحت الماء وبدأت أفكر، ما هو هذا الصوت الذي سَمعتُه، هل سبب ذلك استماعي لموسيقى أصداء من أوغاريت وغوصي فيها؟

هل التعب هو السبب؟

أعتقد سبب ذلك هو الإرهاق، سأنام قليلاً..

غفوت...

فتحتُ عينايَ، الساعة الآن السادسة مساءً، نظرتُ لهاتفي كانت كَارمن قد أرسلتْ لي عِدة رسائل كي تطمئن عن حالي.

سأتصلُ بها، لأخبرها أنّني سأذهبُ لتناول العشاء إذا كانت تود الذهاب معي.

.....

كَارمن: كيف تشعر الآن؟

عُثمان: أفضل ولكن أحاول تفسير الصوت الذي سمعته، جاء الصوت مباشرة بعد أن قلت لك أنّ أوغاريت مدينة ميتة.

ليقول لي إنّها مدينة لا تموتْ..

كَارمن: يبدو أنّك فكرتَ كثيراً بالبحث وفكرت أيضاً بأوغاريت فأوهمك عقلك بذلك.

عُثمان: الغريب جداً هو أنّني سمعته مرتين، المرة الثانية عند بوابة المدفن.

كَارمن: لا أدري، لكن بالتأكيد أنّه صوت من داخلك، كنت قريبة منك كثيراً، إلّا أنّني لم أسمع شيء.

عُثمان: يبدو أنّه صوت ذاتي، صوت من أعماق روحي وعليَّ أن أنصت له.

أن أحاول إيجاد طريقة ما لإحياء المدينة.

كَارمن: سنحاول معاً.

غداً سنعود لهناك ونشرف على عمليات التنقيب، ونحاول إحياء ذكر المدينة.

عُثمان: ممتاز، شكرًا جزيلاً.

.....

رسمة جدارية أثرية لعَنَاة

الكلمةُ سلاح، الكلمة قوة، الكلمة سلام، الكلمة حب، الكلمة حرب...

بكلمة تتقدُ حرب..

بكلمة أخرى يتقدُ حب..

وبكلمة يطيرُ القلب..

الماضي والحاضرُ والمستقبلُ هم مجموعةٌ لا متناهيةٌ من الكلماتِ المترابطةِ والتي تجمعها فوضى منتظمة، مجموعة كبيرة من المشاعر والأحداث التي لا نُدركها إلّا من خلال اللغة.

اللغة هي أكبر إنجازات البشرية، النطق والتدوين والكتابة هم الاكتشاف الأعظم للبشرية.

ستدركُ البشريةُ يوماً أنّ اكتشاف الكتابة أهم من اكتشاف النار..

الكتابةُ نقلتْ إلينا الماضي الذي كان حصان البشرية الأسود، الذي نقلنا بخطواته نحو عالمنا الذي نراهُ اليوم..

تُرى ماذا كانتْ دوافع سُكان أوغاريت حين صَاغُوا أول أبجديةٍ في التاريخ، هل اخترعوها من أجل التجارة، أم كي يدوّنوا حياتهم وأفكارهم..

هل كتبوا تاريخهم بدافع البقاء؟

ماذا يَنفعُ الإنسانَ الذي يبقي ذِكراه، ماذا يَنفعُ ميتاً أن يتذكره الناس وماذا يَنفعُ حضارةً مهدمةً من صور ركامها؟

بالنسبة لي لا يهم أن يتذكر الناس اسمي وشكلي. ولكن الأهم أن يشعروا بوجودي بعد أن أرحل.

إنّ الذي عليَّ القيام به هو محاولةُ إحياء ذكر أوغاريت وليس إحياء المدينة، فإحياء المدينة يتطلبُ جُهداً كبيراً ليس بإمكاني القيام به ولكن ما عليَّ فعله حقاً هو إحياء ذاكرة المدينة، والنبش في أعماقها حتى نصل لجوهر أوغاريت.

تُرى هل لدى كَارمن نفس الأهدافِ التي لدي؟

في البداية أتيتُ أبحث عن مدينة مندثرة وفجأة وجدت نفسي أبحث عن صوتٍ في أعماقي، عن نداءٍ يخبرني بشيء عكس توقعاتي، الآن لا أريد أن أبحثَ عن أوغاريت وحسب بل أريدُ أن أبحثَ عن نفسي فيها.

أتمنى لو كانت كَارمن تحمل ذاك الشغف الذي لديَّ الآن لاكتشاف المدينة.

صار الصباح ولم أنم، كنت أفكر طوال الليل بما يجب عليَّ فعله، كنتُ أعيشُ أحلام اليقظة وأنا أتخيلُ الاكتشاف الذي سنصلُ إليه.

قد يكون اكتشاف يغيّر مجرى التاريخ، وقد يكون اكتشافًا مهماً للعلوم الاجتماعية، ومن الممكن أن يكون سراً ميتافيزيقياً، أو سرًا يحكي قصة العلوم القديمة وحتى قد يكون سِحراً.

لا أدري ماذا سنجد ولكن لدي إيمانٌ عميقٌ أنّه شيء عظيم..

لَبِستُ سُترتي البنية ووضعتُ لفحة سوداء وتوجهتُ للشارع أردتُ أن أمشي قليلاً قرب البحر.

البحرُ صديقٌ وفيٌ، مغنيٌ، ومطرب..

صوته تلاطمُ الموجِ المستمر، ورقصهُ المدُ والجزر.

ولبحرِ اللاذقية غناءٌ مختلفٌ، مقطوعةٌ فريدةٌ، أغنيةٌ ولحنٌ عجيب، أغمضُ عيناي وأفتحُ نوافذَ رُوحي لأسمعَ البحرَ السوري يُغني كملاكٍ في السماء السابعة.

سأشتري كأساً من السحلب الدافئ. السحلب مشروب سوري يُصنعُ من الحليبِ ويضافُ له السكرُ، حلو المذاقِ، نشربه صباحاً لنشعرَ بالدفءِ، كصديقٍ يُرافقنا ونحنُ ساعينَ في هذه الحياةِ.

سأبعثُ رسالة لكَارمن:

صباح الخير، أنا أنتظرك. خرجت منذ الصباح، أنا في استراحة الفندق...

بعد دقائق ردت كَارمن:

صباح الخير، قادمة..

كنت أقود السيارة وأحتسي فنجان القهوة الذي اشتريته من بائع على طرف الطريق، وكانت كَارمن تمسك فنجانها المصنوع من الكرتون بيديها الاثنتين وترنو الطريقَ الذي يسيرُ بنا نحو أوغاريت.

عُثمان: أظن يا كَارمن أنّ أهم ما يجب أن نبحث عنه هو الرقم المفقودة والألواح التي كتب عليها الأوغاريتيين، فهم قوم آمنوا بأهمية الكتابة والتاريخ. أعتقد أنّنا سنجد أسرارهم مكتوبة على الرقم.

كَارمن: نعم، صحيح وأيضاً قد يكون من المهم أن نُولي اهتماماً لأماكن العبادة والدفن عندهم، فهي مرتبطةٌ بشكلٍ وثيقٍ مع عقائدهم الميتافيزيقية.

عُثمان: صحيح، الحضارة هي عددٌ غير متناهي من الدوائر، التي تلتقي في دورانها وتحركها الدائم وحتى في سكونها ورُكُودِها.

كَارمن: صحيح، يبدو عليك التعب، هل أنت مريض؟

عُثمان: لا، أنا بخير، ولكن لم أنم جيداً، كنت أفكر في الصوت الذي سمعته والرسالة التي تقول لي أنّ أوغاريت مدينة لا تموت.

كَارمن: أتفهم ما حصل، لكن عليكَ تجاوزُ ذلك، لا تجهد نفسك بالتفكير..

عُثمان: سأحاول..

كَارمن: ما رأيك أن نقوم بجولة في القرى المجاورة للمدينة، قد تكون أوغاريت المفقودة تحت تلك القرى أو قربها.

عُثمان: صحيح، ومن المهم أيضاً أن نلتقي سكان تلك القرى ونسألهم عن أوغاريت وعن القصص التي قصها أجدادهم عنها. وأيضاً نسألهم إذا سبق أن وجد أحدهم بعض القطع الأثرية.

كَارمن: رائعٌ، فكرةٌ جيدةٌ..

هل تعتقدُ أننا سنجدُ شيئًا ما اليوم؟

أتمنى لو سمعتُ صوتاً كالذي سمعته أنتَ ليدلنا ماذا نفعل؟

عُثمان: نحن أكاديميون يجب ألا نتبع الغيبيات..

كَارمن: إنّنا نبحث في الغيبيات حلاً سريعًا لكل الصعوبة، لكنّه حل لا نراه.

عُثمان: صحيح، إنّنا نبحث في أوغاريت رغبة منا في خدمة الحضارة البشرية وليس لإرضاء صوت ما.

الصوت الأهم الذي يجب سماعه جيداً هو صوتنا..

وصلنا..

تَقاسمتُ خُبز الكلام وجلستُ ألتهم الحروفَ كمائدةٍ حطتْ رحالها تواً من السماء، واستقرأ الملائكة علَّ حرف يفيض فيغير مجرى الحكاية..

الحروف المدورة والكلمات المكورة،

انعزال الكتب على رف النفس تخوض حرباً

وعاصفة الفكر تبدأ بالصياح..

من يرتّل المعنى؟

ويأخذ الكلَ لينسُفَ الجُزء في فلسفةٍ لم تعد تُقرأ وفي حكاية بدون نهاية.

هذا العالم المجنون إلى أين يأخذنا؟ والسفينة الخرقاء سقطتْ منها البوصلة.

كَارمن: عُثمان، أين أنت، بماذا تفكر؟ أراكَ شارد الذهن..

عُثمان: لا شيء، فقط كنت أفكر كيف يغيبُ ذكر هذه المدينة؟

كيف اختفتْ تحت التُراب لكل هذا الوقت؟

كَارمن: التحليلات تقول أنّه زلزال، وأخرى ترى أنّ عدواً ما أراد أن يخفي ذكرها..

عُثمان: لا أعلم، لكن يجب أن نحصل على جوابٍ هنا في مدينة أوغاريت.

سِرْنا بالاتجاه الشمالي للمدينة وتركنا فريق التنقيبِ يبدأ البحث في أربعة مواقع مختلفة وكل شيء طبيعي، لا معالم هنا تدل على آثار المدينة القديمة الغير مكتشفة.

دخلنا أحد البساتين أنا وكَارمن، فيه الكثير من الزهور مختلفة الألوان، هذا المكان بديع.

قطفت زهرة بيضاء ووجدتُ نفسي أقدمها لكَارمن..

لا أدري لِمَ فعلتُ ذلك؟!

لكنّ شيء ما دفعني نحو الزهرة ونحو كَارمن لا أدري ما هو..

احمرت وجنتا كَارمن وأنا أقدّم لها الزهرة، لم تقل شيئًا، فقط ابتسمتْ واشتمتْ الزهرة ومشتْ.

صاح علينا أحدهم..

التفتنا..

كان صاحب الأرض ويدعى العم أحمد، لطيف جداً، أصرّ أن نتناول الفطور عنده..

فذهبنا سوياً لمنزله..

جلسنا تحت دالية العنب، والشمسُ تبحثُ بين أوراق العنبِ عن ممرٍ لتُقبّل سفح الأرض وتُقبّل وجوهنا ونسيم عليل يهب..

جميلة هي "حاكورة" منزل العم أحمد، فيها الكثير من الأشجار والزهور.

جلسنا مع عائلة العم أحمد، جاءتْ زوجته بالإفطار وهو موضوعٌ في "صينية" معدنية وضعتْ فيها الجبنة الريفية والبيض المقلي وبعض العسل والزيتون والمكدوس والزيت والزعتر..

إنّه الفطور السوري..

لذيذ جداً وبسيط..

ونحن نأكل، سألتُ العمَ أحمد:

نحن هنا نحاولُ البحثَ عن بعضِ القطعِ الأثريةِ، هل سبقَ أن شاهدتم شيئًا ما قد يساعدنا؟

العم أحمد: نحن نعرفُ هذه المنطقة جيداً، ولِدنا هنا وكبِرنا هنا وأجدادنا هم من اكتشفوا أوغاريت..

عُثمان: هل تعتقد أنّ المدينة تمتدُ إلى هنا؟

أي تحت بساتين قريتكم؟

العم أحمد: سأكون صريحاً معك، إنّنا نخشى أن تكون أوغاريت ممتدة أسفل حقولنا ومنازلنا فهذا يعني أنّ الدولة سوف تصادرها ونخسرَ أرضنا، بيوتنا وعملنا..

كَارمن: أعتقد أنّهم يعطونكم تعويضاً في هذا الحال؟

العم أحمد: الأرض لا تعوض يا ابنتي

الأرض هي هويتنا فإذا خسرناها خسرنا أنفسنا..

كَارمن: أقدّر ذلك..

عُثمان: أتعهد لك عم أحمد أن يبقى سراً بيننا، نحن بعثة علمية ونريد فقط الحصول على قطع أثرية قديمة. كما حتى ولو كانت أوغاريت تحت بساتينكم لن أسمح بأي ضرر لكم.

العم أحمد: سأخبركم بشيء لا أدري إذ كان يفيدكم أم لا، ولكن سأطلب أن يبقى سراً..

يوجد جنوب قريتنا وبين البساتين كهف كبير، متخفي بين الأشجار التي تحجبه عن الناظرين، ولكنّنا جميعاً نعرف بدايته ولم نتجرأ على الدخول إلى أعماقه.

مات أحد شبان القرية وهو يحاول الدخول إليه، وجدناه طافياً في مياه هذا الكهف..

حتى أنا دخلتُ بمقدار ثلاث خطوات داخله وعندما لمستْ قدميَّ المياه دب الفزع فيَّ وخرجت فوراً.

نحن نسميه كهف الموت أو كهف عَنَاة.

عُثمان: قلت عَنَاة؟

العم أحمد: نعم عَنَاة..

عُثمان: ولِمَ يدعى الكهف بعَنَاة؟

العم أحمد: لا أدري، هكذا أخبرنا أجدادنا، لا أعتقد أن أحداً هنا يعرف معنى الاسم..

كَارمن: هل يمكننا زيارته؟

العم أحمد: نعم ولكن على مسؤوليتكم ولن أذهب معكم..

عُثمان: شكرا لك عم أحمد، سنذهب الآن للكهف..

كَارمن: شكراً لك عم أحمد..

العم أحمد: لدي طلب وهو أن تذهبوا لوحدكم كي لا تحدث ضجة هناك ويعرف الناس مكان الكهف.

كَارمن: حسناً، سنفعل ذلك..

العم أحمد: انتبهوا من الكهف واهتموا بأنفسكم.

عُثمان: شكراً، إلى اللقاء..

الكـــــهـف

ظُلمة الكهف

ظُلمة البئر

ظُلمة السجن

ظُلمة الغار

كلها ظُلمات خرجتْ منها الأنوار.

دخلنا أنا وكَارمن في غابة كبيرة كانت أشجار السرو في كل مكان تقترب من بعضها بشكل يمنع الرؤيا.

صوتُ العصافيرِ قويٌ جداً وكأنهم بدأوا حفلة للتو وهم يصرخون ويحلقون في كل مكان..

كيف سنجد الكهف؟

الأرض مكسوّة بالعشب الأخضر وزهرة الشمرا الصفراء زينت المساحات حولنا.

كَارمن تمشي في الغابة تحاول استقراء المكان بحثاً عن الكهف..

وأنا جلست على الأرض أحاول فك الرموز هنا...

من المؤكد أنهم تركوا شيء ما يدل على المكان.

سأفكر قليلًا...

الغابة مكونة من أشجار السرو ونبات الشمرة، وإذا نظرنا للغابة من القمر الصناعي سنراها مربعة الشكل .

لو كان هذا الكهف كهف عَنَاة يجب أن يكون بأكثر مكانٍ مخيفٍ وأيضاً أبعد نقطة عن أوغاريت فمن المفترض أنّ عَنَاة تستخدم هذا الكهف للاستراحة بعد الصيد أو تستخدمه للحديث مع إيل .

لذلك الجهة التي يجب أن نتجه نحوها هي اتجاه البحر.

سأنده لكَارمن لنذهب:

كَارمن، أعتقد أنّ الكهف سيكون في أبعد منطقة في هذه الغابة باتجاه البحر..

كَارمن: حسناً، لنذهب سوياً في هذا الاتجاه.

عُثمان: هيا بنا..

مشينا باتجاه البحر والمميز أنّنا كلما اقتربنا كانت الأشجار تأخذ شكلاً أكثر انتظاماً وكأنها تفسح الطريق لنا..

تنتظم بخط مستقيم على يميننا وشمالنا..

وجدنا أنفسنا هناك في ساحة خالية من الأشجار المكورة حولنا..

لكن أين الكهف؟؟

فجأة صرخت كَارمن :

عُثمان تعال، أظنّ أنّي وجدت شيئًا ما..

وجدنا صخرة كبيرة مدورة وفي منتصفها نقش دائري آخر.

عُثمان: اقتربنا..

كَارمن: ماذا تعني الدائرة؟

عُثمان: أعتقد أنّ لها دلالة دينية..

كَارمن: أين الكهف؟

عُثمان: هل يمكن أن تصعدي فوق هذه الصخرة؟

كَارمن: حسناً، سأصعد..

عُثمان: الآن، دوري حول نفسك وانظري أمامك بحثاً عن الكهف..

كَارمن: حسناً..

بدأتْ كَارمن تدورُ حول نفسها وهي تنظرُ وعندما أكملت دورة كاملة، قالت :

هناك، هناك وجدته...

ركضنا نحو الكهف، إنّه هو وجدناه...

وقفنا أمام الكهف نفكر هل ندخل أم لا؟

قد يكون في داخله أفعى أو حيوانٌ مفترسٌ وقد يكون مكاناً خَطيراً..

كَارمن: هل ندخل؟

عُثمان: نعم، يجب أن ندخل لكنّها مخاطرة..

كَارمن: أدرك ذلك، هل نعود وندخل غداً..

عُثمان: سأدخل بمفردي وعندما أشعر بخطر ما سأخرج فوراً..

وإذا حصل شيء ما سوف تتصلين فوراً بالفريق لمساعدتنا .

كَارمن: لا تدخل، سندخل سويا غداً..

عُثمان: سأحاول..

كَارمن: حسناً، سأنتظرك عند باب الكهف..

عُثمان: سأدخل..

اقتربتُ من بوابة الكهف، وقفتُ ونظرت لكَارمن التي ربتتْ على كتفي، ونظرتْ إلى داخل الكهف كانت الشمس مخترقة مساحات الكهف مضيئة نصفه مما شجعني على الدخول، فالنور يبعث في القلوب الطمأنينة.

دخلتُ إلى الكهف وبعد خطوتين داخله لاحظت أن جدران الكهف منقوشةٌ بعناية وعليها كتاباتٌ أوغاريتية عديدة.

اقتربت أكثر، بدأت الماء تلمس أصابعي مما جعلني أشعر بالتوتر وفجأة تحرك شيء ما داخل الماء في وسط الكهف لا أدري ما هو لكنّي شعرتُ بالخوف.

الوسيلة الأفضل لهزيمة الخوف هي مواجهته..

انطلقت باتجاه وسط الكهف كان الضوء قد انحسر وبقي فقط على أرضية الكهف..

سمعتُ صوتاً ما..

وقفت مكاني عاجزًا عن الحركة أتأمل الكهف وأنتظر. وكأن شيء ما سيحصل..

تأملتُ الكهف جيداً، جدران مزخرفة ومنقوشة ورسومات أوغاريتية..

لكن ما الصوت الذي سمعته، أعتقد أنّه صوت حيوان ما..

هناك ضوء في آخر الكهف، أعتقد أنّ هناك فتحة أخرى، لمدخل خلفي..

أمسكتُ مجموعة من الأحجار وبدأت أقذف بها واحدة تلو الأخرى وسط الكهف لأعرف عمق المياه.

الماء في الجهة السفلية يبدو أكثر عمقاً، سأقترب لأرى الضوء نهاية الكهف..

اقتربتُ أكثر وأكثر والماء غطى ركبتي..

سمعتُ صوت حيوان قريب، عرفت الصوت، رأيتها. إنّها قطة شقراء وصغارها، دخلوا من الفتحة الخلفية للكهف التي لا يمكن للإنسان أن يمر منها لكنّهم وجدوا فيها مكاناً آمنًا.

كانت القطة مستعدة لمهاجمتي إذما اقتربت من صغراها، لونها أبيض مع علامات شقراء في جسدها ورأسها..

تراجعت للخلف، وعُدتُ لبداية الكهف حيث النقوش. وبدأت أصور صورتُ كل التفاصيل والرسوم والنقوش وصورتُ الكهف وخرجتُ..

وعندما وصلت، كانت كَارمن مدهوشة وخائفة ومتوترة..

لكنّها ابتسمتْ عندما رأتني بخير.

كَارمن: هل أنتَ بخير؟

عُثمان: نعم بخير.. هيا لنعد وسأخبرك بكل شيء..

كَارمن: حسناً..

عُثمان: الكهف مكانٌ آمنٌ نسبياً ليس خطيراً، سوى في منطقة واحدة حيث المياه عميقة جداً ولكنه كنزٌ حضاري، كل جدرانه منقوشة ومرسومة، أعتقد أنّ هذه النقوش ستقدم لنا الكثير.

في نهاية الكهف وجدت شيء غريب، وجدت قطة وأطفالها، دخلوا من مدخل صغير للكهف من الطرف الخلفي.

كَارمن: رائع، أنتَ شجاع، أنا فخورة للعمل معك..

عُثمان: شكراً لكِ، وأنا أيضاً فخورٌ لعملنا سوياً، سنجتمع مساءاً لنقرأ النصوص ولتري الكهف فقد صورت كل شيء بالكاميرا..

كَارمن: رائع، أحسنت..

عُثمان: سنأكل الشاورما ونعمل، يجب أن أكل جيداً كي أعمل جيداً..

.....

بعد أن تناولنا العشاء، جلسنا في مقهى الفندق وطلبنا كأسين من الشاي الأخضر، فتحت هاتفي اللوحي وبدأنا نستعرض الصور..

أنا أقرأ اللغة الأوغاريتية جيداً، وأيضاً كَارمن تحسن ذلك..

هذه الصورة هي لعَنَاة وهي تحمل بيدها الرمح الذي تطارد به الأعداء، وهي ممشوقة القوام وتضع على رأسها خوذة أو رداء.

كتب قربها باللغة الأوغاريتية:

)عَنَاة يا جميلة الجميلات، كل زهور شمرة لكِ عربون حب القدر(

كانت بعض الصور تحتوي على ابتهالات للإله إيل، وصور أخرى تتجسد فيها الطبيعة الخاصة بالمنطقة والصراع الفيزيقي بين المكونات المتنوعة " الماء، الهواء، النار، الرياح."

فهي القوى الأكثر تأثيرًا وصراعاً وتحالفاً..

انتقلنا إلى صورة جديدة لكنّنا وجدنا أنفسنا عاجزين عن التفسير..

كانت لوحة مرسومة بتناسق رهيب وجمالية مبهرة، استوقفتنا لدقائق ونحن ننظر لها..

كانت عَنَاة تقف وسط عاصفة من الرياح، وعلى يمينها الشمس وعلى يسارها القمر وهي باسطة يديها نحوهم وتحتها يتحرك الكثير من الأرواح والكائنات.

إنّها ملحمة حقيقية، ولكن ما معناها؟

قالت كَارمن: انظر هناك نص مكتوب هنا..

عُثمان: صحيح: سأقرب الصورة لنستطيع القراءة..

كَارمن: نعم أستطيع أن أقرأ الجملة.

عَنَاة ملكة الحب والحرب والزمن

هي من تهب الأجساد سفينة الوقت ..

عُثمان: هذه دلالة واضحة بأن عَنَاة حسب اعتقادهم قادرة على السفر عبر الزمن..

كَارمن: صحيح، هذا واضح من النص واللوحة، فالشمس والقمر هما دلالة الزمن، وتحركه ويدا عَنَاة تدلان على قدرتها على التحكم..

عُثمان: والأرواح والكائنات أسفل اللوحة أعتقد أنّهم للدلالة على قدرتها على نقل أتباعها عبر الزمن..

كَارمن: صحيح، أحسنت، دعنا ننظر لباقي الصور قد نجد شيئًا ما مرتبطاً يدلنا على ماهية اعتقادهم.

عُثمان: حسناً..

وبعد أن رأينا عدة صور، وجدنا نصاً مُلفتاً كُتِبَ فيه:

الزمن عداد الحركة

الحركة مشيئة الرب

نحو الماضي

والمستقبل

عَنَاة العظيمة

تملك سفينة الزمان

وتحقق الأحلام..

نعم هذه دلالة أخرى واضحة، أعتقد أنّها صلاة للتّقرب من عَنَاة..

كَارمن: انظر عُثمان ماذا كتب في هذه الصورة:

"عندما يغيب القمر

وفي قلب سفينة الراحلين

سرنا بين..

الحمل

الولادة

الطفولة

الشباب

الرجولة

الكهولة

الموت

القبر.

وبعدها نعود للماضي أو نذهب نحو للقادم

إنّها مشيئة عَنَاة..

فسِرُها هُناك في سفينة الراحلين..

عُثمان: نعم، النص واضح ومبهر، عَنَاة تنقل الناس عبر الزمن، نحو الماضي والمستقبل حسب رغبتها وعبر سفينة الراحلين..

كَارمن: أعتقد أنّ سفينة الراحلين هي المدفن الملكي مدفن رَبَانُو، فهذه المراحل هي ذاتها الدرجات الخاصة بالمدفن الملكي.

عُثمان: صحيح، رائع..

لكن السؤال الأهم، هل كانت عَنَاة تنقل الناس عبر الزمن بعد موتهم أم أنّها تنقلهم بعد مضيّهم على هذه الدرجات؟

كَارمن: أعتقد أنّ الدرجات مجرد رمز والدلالة هي أنّها بعد الموت تقرر عَنَاة نقل الناس عبر الزمن نحو الماضي أو المستقبل..

عُثمان: أتفق معك وهذه الأقرب للمنطق..

فجأة سمعت الصوت القديم ذاته..

أعلم أنّ أوغاريت مدينة منسية

لكنّها مدينة لا تموت..

عُثمان: كَارمن هل سمعت شيء؟

كَارمن: لا أبداً..

عُثمان: عاد الصوت يا كَارمن، لا أدري ما السبب لكن أشعر بأنّي بدأت أجن..

كَارمن: عُثمان، هل يمكن أن تراجع طبيبًا نفسي..

عُثمان: أعتقد يجب ذلك لكن هناك شيء غريب يا كَارمن، الصوت يعود عندما أقول شيء عن أوغاريت، وكأنّه يود أن يقول لي أنت مخطئ.

في المرة الماضية سمعت الصوت عندما قلت: أنّ أوغاريت مدينة ميتة.

والآن سمعت الصوت عندما أيدت رأيك، بأنّ عَنَاة تنقل الناس بعد موتهم. أي أنّ الصوت يريد أن يقول أنّني مخطئ.

كَارمن: ماذا تقصد عُثمان؟

عُثمان: أعتقد أنّ الصوت يريد أن يقول: إنّ عَنَاة تستطيع نقل الناس عبر الزمن وهم أحياء، عبر الدرجات في السفينة أي المدفن الملكي، ويكون ذلك في يوم يغيب فيه القمر.

كَارمن: لا أعرف، لكن التحليل الأول أكثر منطقية، وتحليلك ممكن أيضاً أن يكون باعتقادهم أنّ عَنَاة يمكنها ذلك.

عُثمان: يجب أن أزور المدفن الملكي في الليل وفي الأيام التي يغيب فيها القمر.

كَارمن: بالطبع لن تفعل ذلك، إنّه أمر خطير وخاصة ليلاً..

عُثمان: سأجرب، لن أخسر شيء.

سأذهب لهناك بعد سبعة أيام حينها سيغيب القمر، وأجلس في الكهف ومعي ضوء هاتفي، قد أكتشف شيئًا ما..

كَارمن: إذن سأذهب معك.

عُثمان: لا، لن أضعك في هذه المخاطر والمتاعب..

كَارمن: بدأنا هذه المغامرة معاً وسنكملها معاً حتى النهاية..

عُثمان: حسناً، بعد سبعة أيام، أي يوم الأربعاء سنذهب إلى المدفن ليلاً ونرى ما قد نرى علّنا نجد شيئًا ذا قيمة.

كَارمن: ماذا تعتقد سنجد؟

عُثمان: قد نكتشفُ شيء جديداً في المدفن وقد نرى رُقم جديدة، وقد نسافر عبر الزمن..

كَارمن: أنت مجنون، بالطبع تمازحني..

عُثمان: لا أعتقد أنّنا سنسافر. لكنّنا سنجرب الطقوس الخاصة بهم لنرى كيف كانوا يشعرون خلالها. تلك هي أفضل طريقة لقراءة الأوغاريتين من داخلهم.

"سـفينـة الراحـلـين"

"المدفن الملكي"

الأربعاء

12:00ليلاً

الزمنُ راقصٌ محترفٌ

يَترنحُ في مدى هذا الكون..

الزمن هو رقصُ القمرِ وتمايلُ الشمسِ في هذا الكونِ الشاسعِ.

الأرضُ تدورُ بينهم كدرويشٍ يدورُ حول نفسه في تكيةٍ صوفية..

ماذا سيحصلُ لو توقف هذا الكون عن الدوران؟

هل سنتوقف في نقطةٍ ثابتةٍ من الزمنِ؟

سنكونُ حينها على مشارفِ الساعةِ الوحيدةِ وغير المنتهية..

من نحن؟ ومن أنا؟

يجب علينا التفكير بماهيتنا، وسط هذا الكون مختلف الطبائع، نحن نجد أنفسنا محاطين بالزمان والمكان فما هي طبيعتنا ومما يتكون الإنسان وما هي جوانبه الفيزيائية والشخصية والنفسية..

السؤال الأهم الذي يجب أن نبحث عن إجابته هو الذي يتمحور حول كينونتنا والذي سننطلقُ من خلاله لفهمِ وتعريفِ العالمِ من حولنا.

تخيلتُ نفسي في مقابلة تلفزيونية وتم سؤالي :

"من أنت؟"

"أخبرنا عنك؟"

كيف سأجيب؟

للوهلة الأولى سوف أذكر اسمي وعمري ومهنتي ودراستي وجنسيتي، ولكن هل هذا كل شيء؟

هل هذا أنا؟

هل الإنسان فقط محصلة اسم لغوي لم يختره!

وعمره الذي يرصد زمن وجوده الفيزيقي في الحياة!

وجنسية مُنِحتْ له بسببِ مكانِ ولادته!

ومهنة قد يكون مجبراً عليها!

وفرعاً علمياً درسه بسبب درجاته في الثانوية العامة!

فمن يكون الإنسان؟

لو نظرنا قليلاً لأفكارنا وأخلاقنا وسلوكياتنا ومشاعرنا..

إن العقل هو المنحة الأعظم للإنسان، والذي يمكنه من محاكمة الأمور بمنطقية والوصول للمعارف، وتطوير المفاهيم والمصطلحات وربطها بسلوكيات تتسق مع البناء الأخلاقي الخاص بنا.

لذلك علينا أن نعرف أنّنا نتميز على غيرنا من سائر الكائنات بالعقل وحرية الاختيار.

ومن هذا ننطلق لنتعرف ولنسأل أنفسنا الأسئلة الخاصة بنا،

ونسأل عن المعارف التي لدينا؟

والأخلاقيات التي نلتزم بها والمشاعر التي نُكنها للآخرين.

فالإنسان كائنٌ مفكر

الإنسان كائن أخلاقي ..

فعلينا بداية خوض المعركة الشخصية لمعرفة أنفسنا..

كما قال سقراط لأفلاطون عندما وجده ذات يوم يهيم بلهوه فقال له:

"أيها الإنسان اعرف نفسك"

فصحى أفلاطون من سكرته ومن سكرة جهله، وبدأ معركته الشخصية لمعرفة الذات والكون.

كَارمن: بما تسرح عُثمان، أراك شارد الذهن..

عُثمان: لا شيء فقد أثقلت الفلسفة كاهل مريديها بكثير من الأسئلة وقليل من الأجوبة..

كَارمن: بقي ثلاثُ دقائق، نحن أمام المدفن الملكي الآن، هل ندخل؟

عُثمان: أنا جاهز، معنا قارورة مياه ومصباح، سندخل الآن ونجلس وفي تمام انتصاف الليل سأرتل ابتهال عَنَاة المكتوب على الكهف وننتظر هل سيتغير شيء داخل المدفن.

كَارمن: لا أعتقد سيتغير شيء، لكننا سنحاول، فهي تجربة شيّقة.

عُثمان: لندخل المدفن الآن...

دخلنا المدفن ومررنا على مراحل الحياة، منذ الحمل وحتى القبر.
وجلسنا في أعمقِ نقطةٍ فيه، جلسنا على الأرض، لا أدري لِمَ أمسكتْ كَارمن يدي، أعتقدُ أنّها تشعر بالخوف..

نظرتُ إليها وابتسمتُ، وبدأتُ أرتل بصوتٍ مرتفع:

"الزمنُ عدادُ الحركة

الحركة مشيئة الرب

نحو الماضي

والمستقبل

عَنَاة العظيمة

تملكُ سفينة الزمان

وتحققُ الأحلام."

وقع المصباح من يدي وكُسر، لم نعد نرى شيئًا أبداً، بدأنا نسمعُ أصواتَ كلابٍ في الخارج، شعرتُ بالخوفِ قليلاً، لكن وجدتُ كَارمن تقتربُ منّي أكثر وتضمني وقالتْ: أنا خائفة يا عُثمان.

ضممتها لي وكأنّها ابنتي وقلتُ لها:

لا تقلقي، كل شيء على ما يرام..

كَارمن: لنخرج من هنا، لم يتغير شيء، ونحن بالكاد نرى..

دعنا نعود للفندق.

عُثمان: حسناً..

وقفنا واتجهنا نحو بوابة المدفن الملكي، كنّا نسيرُ ببطء جداً، لكننا تراجعنا للخلف بسبب وجود مجموعة كلابٍ أمام المدفن..

كَارمن ترتجفُ وتمسكُ بيدي بقوة وأنا أفكرُ كيف وضعتها في هذا الحالة المخيفة..

ضممتها لي بقوة كي تهدئ ووقفنا في منتصفِ المدفن..

كنتُ أشعرُ أنّني أقفُ بعد درجة الموت الموجودة في الكهف، تماماً في المرحلة التي لا نعرف ماهيتها..

فجأة سمعت ارتطام شيء بالأرض.. لم أعرف ما هو، ولكن لم نستطع التحرّكَ وقفنا..

سقط شيء على يسارنا..

وآخرُ أمامنا..

فجأة، شعرتُ بشيء سقط فوقنا، وبعدها لم أعد أشعر بشيء..

فقط ظلام..

وصمت..

لا أدري أين كَارمن؟

ولا أدري أين أنا؟!

لا أشعر بشيء، ولا أدري ماذا يحصل وماذا حصل..

فقدتُ الشعور بنفسي..

لا أدري لماذا لم يخطر ببالي عندما تكسرَ المصباح أن أستخدم هاتفي المحمول، أعتقد أنّ الخوف هو السبب..

ولكن المشكلة الآن، أنّي لا أشعر بجسدي حتى...

هل مُتنا؟

هل هذا الذي نحن فيه هو الموت؟

لا أدري لكن أشعر بانعدام الوقت، وانعدام المكان وانعدام جسدي..

أنا في العدم...

حيث لا شيء هنا غير أفكاري..

لا صوتَ لي ولا حركةَ..

إلى متى سأبقى هنا وكيف أعرفُ الزمان الذي يمرُ هنا؟

فلا حركة حتى أقيسها، لا ليلٌ ولا نهارٌ ولا وقتٌ..

هل أستطيع أن أصرخَ، أن أسألَ عن كَارمن؟؟

للأسف فقط الظلام الدامس والعتمة المستمرة،

وأنا كالمجنون أهذي...

إلى متى؟؟

هل أنام؟

وهل ينام الميت؟

أنا في العدم فكيف أنام؟

لا أدري، هل أنا مغمض العينين أم لا..

الشيء الوحيد الذي أريدُ أن أعرفهُ، هو أين أنا، وهل أنا ميت أم لا؟

وكيف أعرف، ولا شيء هنا..

في هذا الظلام ينعدم كل شيء..

لا وجود حقيقي إلّا للعقل..

أتحسسُ وجودي بالأفكار التي تمرُ داخلَ رأسي..

حاولتُ في حياتي تغيير هذا العالم بالأعمال، ولكن التغيير الأفضل هو تغييرٌ بالأفكار يغير الإنسان..

الفكرة هي كل شيء..

ولكن هل أفكارنا تجعل منا أشخاصًا سعداء؟

هل كنت سعيداً؟ وهل أنا سعيد؟

ما هي السعادة؟

هل يجب أن نكون ناجحين لنكون سعداء أم نكون ناجحين لأنّنا سعداء؟

أعتقد أنّ السعادة غير مرتبطة بإنجازاتنا، فكثير من الناجحين والمشاهير كانت حياتهم بائسة، ومنهم من أقدم على الانتحار.

السعادة هي تلك الحالة الدائمة من الرضى والطمأنينة.

نحن مصدر سعادتنا..

السعادة هي الكنز الأعظم الموضوع فينا، والذي يحتاج منا فقط أن نفتح صندوقه.

كم لي من الوقت أفكر؟

كم مضى عليَّ وأنا هنا؟

وما هو هذا المكان؟

أهو الموت؟

البرزخ؟

العدم؟

أين كَارمن، لِمَ لا تساعدني؟

كيف أخرج من هذا الظلام؟

متى تنتهي هذه المرحلة الغامضة؟

متى أستفيقُ من هذا النوم الطويل؟؟

أذكر حين كنتُ أكتبُ والموتُ يجولُ كل ليلة يدقُ أبواب المدينة، يبحثُ عن وجهٍ رمادي، عن عينين شاخصتين ليطير بهم إلى البرزخ..

كنت أكتب كأنّي أتذوق مرارة وعلقم هذا القدر..

نكتب في بلاد لم يعد فيها لون،

لم يعد فيها شعب،

لا سماء ولا أرض

لا هواء ولا حتى ماء..

في هذه البلاد لا يوجد شيء سوى اليأس..

أعتذر لنفسي، لأنّي أدخلتها هذه الدوامة الكبيرة..

ولكن كيف يكون حال من يعيش في البرزخ؟

في العدم، بالطبع بائس ويائس..

في الماضي مررت بكثير من العواصف والعثرات واستفرد بي اليأس مرات عدة، ولكن نجوت..

نعم، نجوت من الحزن واليأس ونجوت من الموت..

عصف بنا الحزن ودمّر دواخلنا..

إنّنا في هذه البلاد، لا يجب أن نقف على ناصية حلم

بل علينا أن نقف على ناصية حُزنٍ ونقاتل..

الحزن ذاك الشعور الغريب والضيف الثقيل والألم الصامت. إنّنا نواجه الحزن الكبير، يمرُ بنا ويصفعنا، يضعُ أصبعه في عيوننا..

نقابله في كل مكان، وعند مفترقات الطرق..

نفترقُ فنحزن

نشتاقُ فنحزن

نعجزُ فنحزن

نمرضُ فنحزن

نُحرمُ أحلامنا، بلادنا ومدننا وننزحُ ونهجرُ، وتدبُ الحرب في بلادنا فنحزن ونحزن..

ونحزن..

ويصير الحزن حالة مستدامة لا تغيب عنا...

فكيف ننجو؟؟

كيف ننجو من الحزن الذي يحب دور معلم قاسٍ؟

يعضّ أصابعنا ويدفعنا نحو العزلة واليأس وقد يودي بنا إلى الاكتئاب الأسود.

سمعتُ صوتاً ما..

هل هناك أحد هنا؟؟

كَارمن هل أنتِ هنا؟

كَارمن

أحتاج مساعدة؟

هل بدأ الحساب؟

هل هذا صوت الملائكة؟

أشعر بضوء ما على عينيَّ..

لا أستطيع فتح عيني، لكن الضوء قوي..

أشعر بالدفء..

إنّها الشمس..

نعم، نور الشمس..

أعتقد أنّه الصباح..

لكن لماذا لا أقدر على فتح عيوني؟؟

يا رب ساعدني..

أريد أن أعرف أين أنا، أريد أن أرى العالم حولي..

أعتقد أنّ أمي اشتاقتْ لي وقلقتْ عليَّ، لا أعرف الوقت الذي مرّ عليَّ هنا، لكن اشتقتُ لأمي.

كَارمن هل أنت هنا؟

أحدهم أمسكَ يدي اليسرى، أشعر بيد أحدهم تمسكُ يدي وتضغط بحنو عليها..

لو أستطيع أن أفتح عينيَّ وأشكره، كنت أظنّ خلال تلك الفترة، أنّي فقدت الشعور والإحساس..

شكراً له لأنّه جعلني أشعر بوجودي..

نحتاج دوماً ليدٍ تمسك يدنا بحنان لنشعر بوجودنا..

هل هي كَارمن؟؟

سأحاول فتح عيوني.

الأمر صعب، لكن سأفتحهم..

حاولت لمرات عدة ولم أستطع.

سأجرب أن أفتحهم ببطء..

نعم فعلتها، لكنّي لا أرى سوى النور، سوى اللون الأبيض..

إنّها أشعة الشمس..

نعم،

نظرت نحو يدي اليسرى، كانت يدٌ ناعمة تمسكها..

حوّلت نظري نحوه..

إنّها كَارمن..

ابتسمتْ لي وقالت :

أطلتَ النوم يا عُثمان..

لم أستطع النطق..

كنتُ فقط أنظرُ وجهها، كانت كالملاك الحارس..

وكأنّ الكون صبَّ في عينيها مجرّات الجمال..

كنتُ متعباً حقاً..

اقتربتُ منها وحاولتُ ضمّها إليَّ كطفلٍ عَثر على أمه..

ضمتني إليها، وكأنّها فهمت يُتمي لها..

زرعتُ رأسي في صدرها..

قلتُ لها:

أين نحن؟

كَارمن: في الكهف، في المدفن الملكي..

عُثمان: ماذا جرى؟

كَارمن: لا أدري، بعد أن سمعنا تلك الأصوات، أعتقد أنّنا نِمنا..

صحوت قبل قليل ولم أتحرك، بقيت قربك، خشيتُ أن يقترب منك عقرب أو حيوان زاحف..

عُثمان: شكرًا يا أمي..

كَارمن: أمك! هههههه

عُثمان: نعم، شكرًا لك كثيراً..

كَارمن: كان يبدو أنّك ترى كوابيس خلال نومك، فكنت تتعرق وتأن. فأمسكتُ يدك لأخفّف عنك..

عُثمان: شعرتُ بها وتمنيتُ لو كانت يدك..

كَارمن: علينا أن نعود للفندق، تأخرنا هنا..

عُثمان: هيا بنا..

خرجنا، باتجاه بوابة المدفن وعبرنا درجات مراحل الحياة، لكن هذه المرة بشكلٍ معاكسٍ. ما لفتَ انتباهي أنّ شكلَ الدَرَجَاتِ كان مختلفاً قليلاً، حيث أكثر نظافة مما يوحي بحداثة الحجر، وكأنّ أحداً استبدلها أثناء نومنا..

خرجنا من الكهف، كان كل شيء مختلف..

الطرقات معبدة ومنتظمة، وساقية مياهٍ تسيرُ قرب الشوارع

والبيوت لم تعد مهدمة وأصبحت جميلة بسقوف..

هل أنا أحلم؟؟

نظرتُ إلى كَارمن وهي مدهوشة مثلي..

إنّها ليست أوغاريت، إنّها مدينة معمورة..

أخرجتُ هاتفي لأتصل بأحدهم وأخبرهم أنّنا ضللنا الطريق...

يا إلهي، لا يوجد شبكة اتصال!

ولكن تاريخ الهاتف تغير!

هو يدل أنّنا عام 1340 قبل الميلاد؟؟

هل عبرنا الزمن؟

هل نحلمُ؟

أدرتُ شاشة هاتفي نحو كَارمن وقلت لها: انظري..

دُهشت كَارمن، ووضعت يدها على فمها من الصدمة..

وقالتْ: ما تفسير ما حصل يا عُثمان؟

عُثمان: إمّا أنّنا نحلمُ أو أنّنا عبرنا الزمن نحو الماضي

كَارمن: كيف نتأكّد من ذلك، ماذا نفعل؟

أنا لا أصدق..

أمسكت يد كَارمن، محاولاً تخفيف توترها..

وفجأة، صرخَ فينا مجموعةٌ من الجنود الذين كانوا يحملونَ السيوف والرماح ويركبون الأحصنة..

صرخوا فينا بلغةٍ لا نفهمها، أعتقد أنهم يتحدثون الأوغاريتية، أستطيع أن أميزَ ما يقولون.

إنّهم يقولون: أعداء، جواسيس..

أخفيتُ هاتفي في جيبي..

لقد قادونا أمامهم، كنّا نمشي وننظر حولنا والناس يقفون أمام أبواب منازلهم، يضحكون وهم يروننا وكأنّنا كائنات فضائية، خاصة مع لباسنا وهيئاتنا المختلفة عنهم.

وصلنا لقاعة، أجلسونا فيها وأغلقوا الباب علينا..

كَارمن: ماذا سيحل بنا؟

عُثمان: لا أدري، إذا اعتبرونا أعداء لهم سيقتلوننا أو نصبح عبيداً لهم..

كَارمن: يا إلهي، كيف نعود لزمننا كيف؟

عُثمان: لا أدري، أمل أن نستطيع التواصل معهم..

كَارمن: هل تفهم لغتهم؟أفهم بعض الكلمات منهم.

عُثمان: نعم، أفهم لغتهم ولكن بصعوبة فهي المرة الأولى التي أسمع فيها اللغة الأوغارتية من متكلم بهذه السرعة..

كارمن: وأنا أيضاً...

فُتح بابُ القاعة ودخل علينا الحرس واقتادونا أمامهم. وصلنا للقصر الملكي لقد عرفته، إنّه أكثر جمالاً ممّا ظننت.

صعدنا درجاً عريضاً، ووصلنا إلى غرفة الملك ففيها شخص يجلس على كرسي فخم الصنع يجلس عليه رجلٌ مهاب الطلة، يحمل في يده عصا مذهبة يتحلق حوله الكثير من الرجال الصامتين..

وأجلسونا في منتصف القاعة والملك ينظر لنا..

كانت كَارمن ترتجف، أمسكت بيدها..

قال الملك بلغته الأوغاريتية:

من أين أنتم؟ ومن أرسلكم إلينا؟ ما المعلومات التي ترسلونها..

رددت عليه:

نحن من سوريا

وأتينا إلى هنا بالخطأ..

الملك: أين تقع سوريا؟؟

عُثمان: هنا..

الملك: هنا مملكة أوغاريت العظيمة..

عُثمان: نحن من المستقبل...

الملك: أتسخر مني..

من أرسلكم إلينا؟

أجب أو إنّي سأقطع رأسكما..

عُثمان: أقسم إنّي أقول الحقيقة، هل يمكن أن أسأل عن شخص لأقابله..

الملك: من هو؟

عُثمان: رَبَانُو..

الملك: تقصد الحكيم رَبَانُو..

عُثمان: هو ذاته، سيعرفنا بالطبع...

الملك: أرسلوا في طلب رَبَانُو الحكيم..

اقتربتْ كَارمن مني وقالت:

لماذا أرسلت في طلب رَبَانُو، لن يعرفنا ولا نعرف نحن حتى شكله..

عُثمان: سنحاول شرح ما حصل لنا له، إنّه حكيم جداً سيتفهم ما حصل لنا..

ولتكن محاولتنا الأخيرة قبل أن يقطعوا رؤوسنا..

كَارمن: أَنتَ ذكي يا عُثمان..

عُثمان: أملُ أن يكون رَبَانُو كذلك..

رَبَانُو

جلسنا ننتظر رَبَانُو كي يبُتَ في أمرنا، نتفرسُ وجوه الحاضرين علَّنا نجد عند أحدهم شفقة أو تعاطف معنا.

لكنّنا لم نجد إلّا الاستغراب من هيئاتنا وملابسنا.

كان الملك يجلس على كرسي خشبي ضخم مذهب اليدين، ويقف قربه رجل ضخم الهيئة يبدو كأنّه حارسه الشّخصي.

نظرتُ لكَارمن، كانت متعبة وخائفة، لكنّها تنظر بقوة نحو الملك، لا أدري لماذا...

قامت بربط شعرها وانسدلت إحدى الخِصل على وجهها وكأنّها تجلي عشتار الحي.

دخل رجلٌ يبلغ من العمر ما يقارب الأربعين عاماً، يحمل في يده عصًا خشبية وكأنّها عصا موسى، ويسير نحو الملك ووقف في حضرته وحيّا الملك.

يبدو أنّه رَبَانُو، دنى من الملك ودار حديث بينهما، وكانوا يتبادلون النظرات وأشار الملك بصولجانه إلينا.

تقدم رَبَانُو نحونا ونظر لنا، دار حولنا مرتين ووقف أمام كَارمن ونظر لها وأطال النظر...

ثم اقترب مني ونظر إليّ...

طلب منّا الوقوف وسأل كَارمن:

أيّ لغة تتحدثون؟

كَارمن: نتحدث اللغة العربية والأوغاريتية قليلًا.

رَبَانُو: من أين أتيتم؟

كَارمن: من المستقبل.

رَبَانُو: كيف؟

كَارمن: " عَنَاة " أرسلتنا إليكم.

رَبَانُو: عَنَاة!!! كيف حصل ذلك؟

عُثمان: عبرنا مراحل الحياة من الولادة نحو الموت وابتهلنا لعَنَاة فعادت بنا إليكم.

كَارمن: نحن نستطيع أن نتلوا عليك شيئًا تعرفه أنت.

رَبَانُو: ما هو؟

كَارمن: عدنا إن كان شيء كتبته أنت، أن تساعدنا.

رَبَانُو: أتعهد لكم بذلك.

كَارمن:

أين هم الملوك؟

ملوك الزمان القديم العظام،

الذين لم تعد النساء تحمل بمثلهم..

ولم تعد السماء تلد مثلهم

عُثمان: كم هي بعيدة السماء؟

اليد لا تعرف ذلك...

كم هي عميقة الأرض؟

ما من أحد يعرف ذلك...

ماذا يفعل البشر؟

هم أنفسهم لا يعرفون معنى أيامهم ولياليهم.

ثم قلنا معاً: إنّها بيد الآلهة.

ابتسم رَبَانُو قليلاً، ثم قال:

لقد كتبت هذا الابتهال منذ يومين فقط ولم يقرأه أحد. الآن أيقنت أنّ عَنَاة من أرسلتكم لنا.

ماذا تحتاجون لأساعدكم؟

عُثمان: خذنا لنعيش في مكان آمن، ونريد الجلوس معك قليلاً.

رَبَانُو: حسناً، لكم ذلك.

اتجه رَبَانُو نحو الملك وتحدثا معاً طويلاً، لم نسمع ما يقولون ولكن الملك كان يهز رأسه قبولًا.

انتهى رَبَانُو واتّجه إلينا وقال لنا: تفضلوا إلى منزلي المتواضع.

قلتُ لرَبَانُو ونحن نسير باتجاه منزله: أعرف عنك أنّك عالم بالعلوم الربّانية وأنّك طبيب بيطري، وأنّك من كبار الكهنة، ومستشارٌ للملك، وعارفٌ بالحكمة والفلسفة والطب واللغات.

أعرف أنّ لديك المكتبة الكبرى في المدينة وفيها رُقُم، نُقش فيها مراسلات دبلوماسية وملكية وتقارير عسكرية ونصوص قانونية واقتصادية ودينية وطبّية.

رَبَانُو: كيف عرفتَ كل هذا؟

عُثمان: أتيت من المستقبل، لذلك أعرف عنك الكثير.

رَبَانُو: لدي الكثير من الأسئلة لك.

عُثمان: ونحن أيضًا لدينا أسئلة كبيرة.

الروح العالقة في الانتظار

معذّبة حتى يحين اللقاء

ككلمة عاشقة في كتاب مغلق

عقدتْ موعدًا مع شغفِ قارئ.

جلسنا أنا وكَارمن في إحدى غرف منزل رَبَانُو، لا أدري إذا كان منزلًا أم قصرًا.

لكنّه جميل ودافئ، لم أتخيل أنّ أوغاريت بهذا الحسن وهذا الجمال... شوارع مرصوفة بالحجارة ومرسومة رسمًا بين بيوت المدينة وساقية مياه مسنمة تسير بجوار الطرقات وتدخل البيوت..

ومنزل رَبَانُو كان منزلًا جميلًا معمرًا بحجارة بيضاء، ومنقوش عليه رسومات أوغاريتية، وفي داخله الكراسي ورفوف المكتبة موضوع عليها الرقم ومحفوظة بشكل يقيها التّلف.

كنَّا أنا وكَارمن متعبين حقاً، فقد سافرنا بعيداً في الزمن.

المكان ذاته لكن الزمان تغيّر.

أحضر لنا رَبَانُو بعض الطعام في قدر فخاري، كان الطعام وجبة أسماك مشوية وبعض الخضار.

تبدو شهية جدًا...

محضرة بطريقة تسرّ النّاظرين.

جلس رَبَانُو يأكل معنا، ويتفرس ملامحنا..

نحن بالنسبة له كائنات غريبة جداً، كائنات مستقبلية.

سألنا رَبَانُو: كيف يبدو المستقبل؟

كَارمن: هو بالنسبة لكم مستقبل وبالنسبة لنا حاضر، أنتم ترون أنفسكم حاضر ونحن ننظر لكم على أنّكم ماضي.

حاضرنا هو الحاضر المليء بالأرقام والصور والألوان، لكنّه باهتٌ

باهتٌ حقاً، عالمنا هو عالم الفوضى المنتظمة، وعالمكم عالم الانتظام الفوضوي.

لقد سيطر البشر على العالم بشكل كبير، لكنّهم فقدوا السيطرة على أنفسهم.

نحن اليوم على قمة جبل التطور، لكنّنا في الدرك الأسفل من السعادة..

فالإنسان العالم هو الإنسان المتألّم والحزين.

فكلّما تعلمنا، تألّمنا.

رَبَانُو: إنّي أجد في كلامكم الأسى والحزن. ألهذه الدرجة سيصبح العالم قاتمًا؟

كَارمن: نعم، الناس ستموت في المستقبل بسبب حروب كبيرة تدعى العالمية، فحرب عالمية أولى وثانية وثالثة.

وتموت أيضًا بسبب الجوع والفقر، والأكثر ضراوةً هو الموت حزنًا.

رَبَانُو: هل تريدون العودة لحاضركم مع قبحه لهذه الدرجة؟

كَارمن: نحن مع كل هذا البؤس نحب حاضرنا وبلادنا ونأمل أن نغيّر شيئًا ما في سيرورة هذا الزمن.

رَبَانُو: لا أحد يستطيع تغيير سيرورة الزمن.

عُثمان: كيف نستطيع العودة للمستقبل؟

رَبَانُو: فقط عَنَاة تستطيع مساعدتكم، فهي من أتتْ بكم إلى هنا وهي من تستطيع إعادتكم.

كَارمن: وأين نجدها؟

رَبَانُو: لا أعلم، هي تأتي وتذهب متى تشاء، ولكن غالباً ما تكون عند نهاية النهر، عند الكهف العظيم، كهف "إيل."

كَارمن: كيف هو شكلها؟ هل هي أنسية مثلنا أم تختلف عنّا؟

رَبَانُو: محظور عندنا وصف هيئات الآلهة، ولكنّها كيفما تشاء تكون.

عُثمان: أخبرنا عن زمانكم...

رَبَانُو: نحن زمان الإنسان، نحن الحاضر الذي ننام فيه بفرح ونستفيق بفرح.

نعمل وننجز،

نحن عصر الإنسان السعيد،

عصر الإنسان المفكّر والخلوق.

عُثمان: وماهي الأخلاق؟

رَبَانُو: الأخلاق هي ألّا تؤذي أحدًا، حتى لو كان طيرًا في السماء.

لا تضرّ كائنًا بكلمة أو نظرة أو عمل، وأن تمدّ يدك دومًا لتكون عونًا لأحد ما.

عُثمان: رائع، إنّها الأخلاق الإنسانية.

كَارمن: هل تساعدنا لنجد مكانًا ننام فيه، حتى نجد طريقة لنعود فيها.

رَبَانُو: سأعطيكم بيتاً صغيرًا قرب بيتي، وسأقدم لكم ملابساً جديدة فملابسكم ستشعر السكان بالاستغراب.

عُثمان: شكرًا لمعروفك سيد رَبَانُو.

رَبَانُو: لا داعي للشكر، ولكن أودّ أن أسئلكم، هل تعبدون إيل؟

كَارمن: لا.

رَبَانُو: ماذا!؟

عُثمان: مهلاً، نحن أتينا لنتعرف إيل وعَنَاة.

في زماننا هناك الكثير من الديانات والآلهة، ونحن كنّا نبحث عن مدينة أوغاريت وعن أسرارها.

رَبَانُو: حسناً، أوغاريت هي المدينة التي لا تموت.

عُثمان: ماذا قلت؟

رَبَانُو قلت: أوغاريت هي المدينة التي لا تموت.

عُثمان:

أعلم أنّ أوغاريت مدينة منسية

لكنّها مدينة لا تموت..

رَبَانُو: صحيح، هذه مقولة عَنَاة الشهيرة التي قالتها بعد أن أحيت المدينة من الخراب الذي أصابها جرّاء الحرب، فأعادت إعمارها وقالت هذه المقولة.

عُثمان: يبدو أنّ عَنَاة ترغب بوجودنا وقادتنا لنصل إلى هنا دون أن نعرف.

رَبَانُو: أنصحكم بالانتباه إذا قابلتم عَنَاة فهي سريعة الغضب، شديدة الغيرة، قوية جدًا.

كَارمن: حسناً.

رَبَانُو: لنذهب إلى بيتكم الجديد، سيعجبكم.

الحب هو الطريق

استفقتُ صباحًا لأرتدي الثياب الأوغاريتية، لقد نمنا أنا وكَارمن في نفس الغرفة لكنّي أدرتُ ظهري لها كي لا تشعر بالإحراج.

وفي الصباح أخذت ثيابي الجديدة وارتديتها في رِواق المنزل وعدت إلى كَارمن، كانت الملابس عبارة عن ثوب حريري بني اللون غطاء للرأس يُلفّ بطريقة جميلة ثلاث مرات حول الرأس وأيضًا وشاح ألفّه على خصري ليضبط الملابس وسروال فضفاض جدًا.

كان شكلي غريباً حقاً.

دخلت الغرفة كانت كَارمن تنسقُ هندامها بعد أن ارتدت حلّتها الجديدة.

التفتَتْ إليّ..

كانت مبهرة، ساحرة، ارتدتْ فستاناً أحمرًا طويلاً، وبرزت عنقها الأبيض الممشوقٌ وكأنّها العنقاء وتلتمع عيونها بشكل أكبر.

لاحظتْ كَارمن دهشتي.

فقلتُ لها:

أنتِ جميلةٌ جداً.

كَارمن: وأنت تبدو غريباً جداً بهذه الملابس.

ضحكتُ وأخذتُ لفحة أتتْ معنا من زماننا كانت تضعها كَارمن وأحطتُ بها عنقها وقلتُ لها: هذه كي لا تشعري بالبرد، أنت الوحيدة هنا من زماني..

احمرّتْ وجنتا كَارمن وقالتْ:

أنتَ تتقصد إحراجي يا عثمان.

كنا شركاء في بحثٍ عن التاريخ، فأصبحنا شركاء في القدر والزمن..

عُثمان: وشركاء في كل شيء.

كَارمن: ما خطتنا اليوم؟

عُثمان: دعينا نأخذ صورة تذكارية، هاتفي لازال يعمل.

كَارمن: حسناً، رائع، إذا عدنا ستكون دليلنا أنّنا كنّا هنا..

وقفنا بجانب بعضنا بملابسنا الغريبة وأشغلتُ هاتفي وفتحت كاميرته، وقمت بوضع يدي على كتف كَارمن، نظرتْ لي وابتسمت..

وأخذنا هذه الصورة الجميلة وأطفأت هاتفي وخبّأته.

سنذهب لنشاهد المدينة عن قرب، نريد أن نعرفها بشكل أكبر، أن نعرف أسرارها ونراها ونحن نعيش داخلها قبل أن نحاول العودة لعصرنا.

إنّها فرصة لا تتكرر، أن تعود بالزمن لتعيش في هذه المدينة العظيمة.

من المهم جداً أن نعرف عن الآخر، أن نعرف الصدى الذي نتركه عنده. وأيضاً الصدى الذي يتركه صوته عندنا.

خرجنا بعد أن أخذنا رأي رَبَانُو بالقيام بجولة في المدينة، لم يعد الناس ينظرون لنا باستغراب، فملابسنا تدل على أنّنا نعيش هنا منذ زمن.

أوغاريت مدينة راقية وحضارية حقاً، كل شيء مرتب وجميل، والمباني متناسقة وكأنّ مهندساً واحداً هو الذي بناها.

الأطفال يلعبون في الشوارع وبعضهم يسير بانتظام، تُرى هل لديهم مدارس؟

تبعنا أحد الأطفال الذي يسير بسرعة حتى وصلنا إلى فسحة واسعة يجلس فيها الكثير من الأطفال متحلقين حول شخصٍ يجلس على صخرة ويحمل في يده عصا..

أنصتنا السمع كجنٍ تسترقُ السمعَ من نبي..

المعلم يقول:

الإنسان نجم في سماء هذا الكون إذا استطاع أن يضيء داخله أضاء ما حوله وأضاء لنفسه ولغيره.

وضوء الإنسان هو الحكمة

والحكمة لا نأخذها إلا بالمعرفة،

والمعرفة عمل العقل، والعقل هو جرمنا وسفينتا وكلّ ما لدينا.

نعيش في زمان نركب فيه البحر وتهابنا كلّ وحوش البر ولدينا من المنازل ما يقينا البرد والحر ولكنّنا اليوم خَلَقنا بسبب فضولنا تارة وجشعنا تارة أخرى سلاحين متناقضين.

لقد صقلنا سيوفنا وعقولنا،

والخوف أن يقتل أحدهم الآخر..

الخوف أن يقتل السيف العقل، فينتشر الموت وتغيب المعرفة.

وإنّي أخاف عليكم فأنتم أبناء المستقبل،

حكموا فؤادكم واختاروا الحكمة فالحكمة مُنجية.

كَارمن: يا إلهي ما أحكم هذا المعلم، وكأنّه يقرأ المستقبل.

عُثمان: إنّها الحكمة، الحكمة ضالة المؤمن.

مشينا في المدينة، كانت بوابة القصر الملكي جميلة جداً وكبيرة، يقف أمامها حارسين.

رأينا على مقربة من القصر ساحة واسعة مرصوفة، وفي نهايتها تجمع الناس.

اقتربنا أكثر، كان يجلس مجموعة من الناس، قرابة خمسة أشخاص فتاتين وثلاثة رجال، يحملون أدوات لا نعرفها.

وفجأة صمت الناس جميعاً وبدأ العزف.

إنّهم موسيقيون..

جلستُ على الأرض وجلستْ كَارمن أيضًا لننصتَ للموسيقا الأوغاريتية، بدأت أتعرّف اللّحن.

نعم، إنّها الموسيقا ذاتها التي عزفها الجندلي، تختلف قليلاً لكنّها ذاتها.

رائعون، بدأ الناس يتمايلون على وقع الموسيقا، ويرقصون بطريقة جميلة وهادئة، يمسك كل رجل يد امرأة وينظر في عينيها يتمايلون يميناً وشمالاً.

أمسكتُ يد كَارمن وقلت لها: نرقص؟

هزّت رأسها موافقة.

وقفنا وأمسكت يديها وبدأنا نتمايل وقلبي يميل كلّما التمعت عينيها.

ما أجملها!

يبدو أنّني بدأت أُغرم بها،

ابتسمت كَارمن وكأنّها قرأت أفكاري،

وأنا ابتسمت، ولم أتجرئ على الكلام.

انتهت الموسيقا وخرجنا من تلك الفسحة الموسيقية نحو أزقة المدينة يجب أن نذهب لكهف عَنَاة.

خرجنا باتجاه البساتين خارج المدينة، لم تتغير البساتين كثيراً مازالت تقريباً كما هي، سرنا باتجاه الكهف بخطوات واثقة، لأنّنا نعرف الطريق فمن يعرف الأشجار لا يضيع.

وصلنا وصرنا أمام بوابة الكهف، هل ندخل؟

دخلت أنا في المرة الماضية وأعرف ما يوجد في الداخل لن ندخل الآن.

سنجرب أن نبتهل لعَنَاة كما فعلنا سابقاً:

"عَنَاة يا جميلة الجميلات

كل زهور شمرة لكِ عربون حب القدر."

جثونا أنا وكَارمن نرتل هذا الابتهال وظللنا نعيده، وفي المرة السابعة سمعنا صوت ما..

صمتنا وبقينا ننتظر، هل ستأتي؟

هل سيأتي أحد حرسها؟

وفجأة ظهرت أعلى الجبل البعيد، امرأة تحمل سيفاً طويلاً بأجنحة كبيرة جداً وحلَّقت في السماء عالياً ثم انقضّت نحو الأرض، وكأنّها تلتقط فريسة ووقفت أمامنا وظهرها لنا.

وظلّتْ صامتة...

اقتربنا منها ببطء:

التفتت إلينا وبدأت تتفحصنا، تسمّرنا مكاننا خوفاً ورهبة منها...

نظرتُ إلى وجهها، يا إلهي ما هذا؟

تفحصتُ وجهها بشكل أكبر ونظرتُ لكَارمن..

كَارمن هل لاحظتي شيئًا ما؟

لم تُجب كَارمن من وهلة الموقف..

وجه عَنَاة هو ذاته وجه كَارمن..

إنّها تشبهها كثيراً.

يا إلهي!

اقتربتْ عَنَاة منّا وقالت:

تأخرتم

لم نعرف ماذا نجيب،

صمتنا..

فقالت أيضاً:

انتظرتكم..

يا إلهي، ولمَ تنتظرنا عَنَاة وعن ماذا تأخرنا؟

قلت لها: يا عَنَاة العظيمة، نريد أن نعود، ولا نعلم لمَ جئنا إلى هنا.

عَنَاة: أتيتم إلى قدركم..

أنتم فقط تلاقيتم مع أقداركم..

كَارمن: نريد أن نعود إلى زماننا.

نظرت عَنَاة إلى كَارمن ولم يعجبها كلامها وقالت:

عَنَاة تقرر ما هو زمانكم، ستعودون عندما يموت كارت.

عُثمان: تقصيدين الملك كارت؟

بقيتْ صامتة ولم تقل شيئًا.

وفتحتْ أجنحتها وقالت:

الزمن قاهر الملوك

هذا زمانكم...

أنتظر زيارتكَ وحدك.

حلّقتْ عَنَاة بعيداً..

وبقينا أنا وكَارمن مذهولين بما جرى، حجم المفاجئات التي حصلت أكبر من قدرة عقولنا على الاستيعاب.

عُدنا إلى منزلنا ولم نتحدث أبداً خلال السير، كان كلٌ منّا يفكر، ماذا يحصل معنا، عَنَاة وأوغاريت ورَبَانُو وكل شيء غريب هنا.

وصلنا إلى منزلنا، جلسنا قليلاً كنا مشوّشين جدًا.

نظرتُ لكَارمن، كانت مسندةً رأسها للجدار ومغمضة عينيها.

قلتُ لها: كَارمن هل لاحظتِ أنّ عَنَاة تشبهك كثيراً؟

كَارمن: لم أنتبه لذلك أعتقدُ أنّي كنتُ مدهوشةً جداً لذلك لم أنتبه.

يجب أن نقابل رَبَانُو لنخبره ما جرى معنا..

عُثمان: صحيح، لكن أنا جائع، كيف سنحصل على الطعام هنا؟

فجأة دُق الباب، إنّه رَبَانُو، دعانا لتناول الطعام عنده في البيت.

جلسنا نتناول الطعام الشهي، سألنا رَبَانُو:

كيف كان يومكم؟

كَارمن: قابلنا عَنَاة..

رَبَانُو: حقاً!

عُثمان: نعم، لكنّها قالت لنا أنّنا سنعود حين يموتُ كارت، وطلبت مني زيارتها بمفردي.

رَبَانُو: موت كارت؟؟

كارت هو ملكنا، سأخبركم سراً، كارت هو ملك ظالم وجائر، استبدّ بالحكم وجوع الناس، وكان في زمان مضى قد طلب من إيل ولداً ليرث حكمه وحين رزقته الآلهة بطفل قتله حين صار عمره عشرة أعوام.

كَارمن: ولماذا قتله؟

رَبَانُو: لأنّ عرّافة قالت له أنّ ابنه سيقتله حين يكبر.

عُثمان: لكنّنا قرأنا في رقيمٍ وجدناه في أوغاريت، أنّ ابن كارت يأخذ منه المُلك.

رَبَانُو: صحيح، هذه نبوءة العرافة، واحتفظتُ بها في مكتبتي. لكن الملك كارت قتلَ ابنه كي لا يتنازل عن العرش حتى لابنه.

الملوك يقتلون أخوتهم وابنائهم للحفاظ على عروشهم فالملك حيوان متوحش مفترس يفترس الشعب وأقارب الملك، وفي النهاية يفترس الملك ذاته .

عُثمان: وكلام عَنَاة يدلّ أنّ كارت سيموت قريباً.

رَبَانُو: كلنا ميتون، الملك ميت والوزير ميت وأنا ميت ولكن متى وكيف إنّها بيد الآلهة.

كَارمن: لماذا طلبتْ عَنَاة زيارةَ عُثمان بمفرده؟

رَبَانُو: عَنَاة أنثى مجنونة وفاتنة ومزاجية، لقد قتلتْ أقهات لأنّه لم يعطه قوساً له، لذلك عليك أن تطيع أوامرها فهي سريعة الغضب وإيّاك وجرح كبريائها فهي أنموذج الأنثى الكاملة.

الأنثى الكاملة بكل مشاعرها وتقلباتها وقوّتها وإصرارها ونجاحها وغيرتها وجنونها وحنانها وطبيتها وغضبها وحبها.

كَارمن: شعرتُ أنّها لا تحبني..

رَبَانُو: هذا طبيعي، فحتى ولو الأنثى كانت إله ستغار.

يبدو أنّها معجبة بعُثمان أو أنّها تريد الاختلاء به ولا تريدكِ معهما.

عُثمان: آمل أن يكون كل شيء على ما يرام.

رَبَانُو: نأمل ذلك.

جلسنا ليلاً أنا وكَارمن، كان يبدو الغضب على كَارمن..

قلت لها: هل تعرفين يا كَارمن اشتقت للكتب، للورق وللقهوة وأيضاً الشاورما.

كَارمن: أطلب من عَنَاة قد تحضر لك.

عُثمان: هل تسخرين مني؟

كَارمن: لا، أليست معجبة بك، ألست حبيب الآلهة؟؟

عُثمان: لا أعتقد ذلك، أعتقد أنّها فقط تريد أن تخبرني شيئًا ما.

كَارمن: لا تذهب بمفردك، سأذهب معك.

عُثمان: لماذا؟

كَارمن: هكذا؟؟

عُثمان: هل تشعرين بالغيرة؟

كَارمن: ولماذا أغار، أنا أخاف عليك؟

عُثمان: لا تقلقي، سيكون كل شيء على ما يرام، سأذهب غداً لأرى ما تريد عَنَاة منّي..

كَارمن: تباً لعَنَاة..

عُثمان: لننام الآن.

كَارمن: تصبح على عَنَاة أيّها الأحمق.

عُثمان: تصبحين على خيريا أميرة.

"المرأة هي روح البشرية المتمرّدة"

المرأة هي الروح التي تحرك هذا العالم، هي القرار الضمني لكل إنجازات البشر، هي الإنسانية التي نبحث عنها دوماً، هي التجسيد الحقيقي للجانب الأجمل فينا..

لا يكتمل هذا العالم من غيرهنَّ..

أعتقد أنّ المرأة هي التغيير في سيرورة التاريخ، هي الثورة وهي التمرد على الظلام في هذا العالم، إنّها النور الذي غيّر تاريخ البشرية وجعله أكثر صدقاً وحباً وإلفة.

المرأة هي نحن جميعاً.

بعد قليل سأكون على موعد مع عَنَاة إله الحب والحرب والصيد..

إنّها تجمع المتناقضات فهي الحب والحرب والصيد،

لكنّهم متناقضون ظاهرًا متفقون باطناً.

فالحب هو حربٌ من دون سلاحٍ، حربُ المشاعرِ، حربُ الكلمات. يقاتل في الحب عاشقان في حربٍ مع العالم أجمع، ليصيدوا لحظة لقاء..

لو كانت عَنَاة بهذه الفلسفة التي خطرتْ في بالي لكانت عَنَاة التي يريدها كل العاشقون..

كَارمن وعَنَاة متطابقان تماماً ماعدا الأجنحة التي تمتلكها عَنَاة واللباس والسيف.

ما سر ذاك التشابه بينهم، هل فعلاً عَنَاة تشبه كَارمن أم خُيل لي ذلك؟؟

كَارمن تغار عليَّ، شعرتُ بذلك، يبدو أنّها معجبة بي أم هي تغار على الشخص الوحيد القادم من زمانها؟

لا أدري، ولكن كيف نحب ونحن في هذا الزمن الذي لا نعرف هل نحن باقون فيه أم منتقلون إلى غيره..

سأذهب لعَنَاة علّها تساعدنا لنعود لوطننا، فالزمان وطن.

بعضُ السنواتِ تُشبهنا وتُسعدنا للدرجة التي نرغب ولو بقينا فيها.

هل أنا أحبُ كَارمن؟

أنا أراها جميلة جداً بل أجمل البشر..

وهل الحب إلّا أن ترى محبوبك أجمل الناس أجمع..

نعم، أحبها...

ولكن ماذا أفعل لو راودتني عَنَاة عن نفسي، كيف أرفض؟

ستقتلني كما قتلت أقهات؟؟

يبدو أنّي أخرف، كيف ستغرم بي عَنَاة العظيمة وأنا مجرّد رجل عبرَ الزمن ليبحث عن مدينة منسية.

فتحتْ كَارمن عينيها، اقتربتُ منها وامسكتُ يدها، نظرتْ إلي وضمتني بقوة، وقالت: أرجوك لا تذهب، أخاف عليك.

عُثمان: لا تخافي سيكون كل شيء على ما يرام..

لم تأتِ عَنَاة بي إلى هنا لتقتلني..

كَارمن: أعلم وهذا ما يُخيفني.

عُثمان: هل تفضلين أن تريد قتلي على أن تُعجب بي؟

كَارمن: لا، لو كانت تريد قتلك لدافعتُ عنك، ولكن...

عُثمان: يجب أن أذهب الآن، لكن أودّ أن أقول لك شيئًا مهمًا..

نظرتُ إلى عيني كَارمن وقبلتُ جبينها :

أنا أحبكِ يا كَارمن...

هطلت دمعة من عيون كَارمن وضمتني إليها بقوة:

انتبه لنفسك يا عُثمان، أنتَ الباقي لي هنا، لا أعرف غيرك ولا يعرفني إلّا أنت..

عُثمان: سنكون بخير ونعود.

خرجتُ مسرعاً باتجاه الكهف، لا أدري ما ينتظرني، لكن إحساس داخلي يجعلني أعتقد أنّي متّجه لأمر عظيم.

كنت لا أرى الطريق أمامي، كنت أفكر فقط بما سأواجه هناك؟؟

هل ستطلب منّي عَنَاة قتلَ الملك كارت؟؟

لا أدري، كيف خطرت ببالي هذه الفكرة، لكن هل سأفعلها لو طلبت منّي؟؟

وصلتُ وأصبحتُ أمام الكهف، هل يجب أن أبتهل لتحضر أم أنّها ستأتي من تلقاء نفسها، فهي من دعتني؟

وقفتُ أمام الكهف، كان كل شيء ساكن..

سمعتُ صوتًا خلفي، كانت كَارمن خلفي، لكنّها ليست ملابس كَارمن، لكن عَنَاة لديها أجنحة وهنا بدون أجنحة..

وقفت أمامها أنتظر أن تُعرفني بنفسها، نظرتُ إلى عينيها جيداً..

كيف أميز كَارمن من عَنَاة وهما متطابقين تماماً؟

ذات العيون ..

كل شيء متطابق بينهم وكأنّهم توأم متطابق.

نظرتْ إليَّ بحدة ووضعت يدها على كتفي وقالت:

اتبعني..

شقّتْ الطريق بخطواتها أمامي وفستانها السماوي يلامس الأرض، وكنت أمشي خلفها معتقداً أنّها عَنَاة..

لا أعتقد أنّ كَارمن ستتعامل معي بهذا الشكل..

وصرت أمشي خلفها، لا أدري إلى أين..

وصلنا إلى منطقة مفتوحة تماماً تمتد حولنا أزهار الشمرة في كل مكان وكأنّ الأرض ارتدت فستاناً أصفراً من هذه الزهور.

ووقفتْ تنظرُ إليَّ وهي صامتة..

اقتربتُ خطوة منها:

لِمَ دعوتني اليوم لهذا اللقاء بمفردنا؟

وأين أجنحتك؟؟

عَنَاة: أنا أظهر كيفما أشاء ومثلما أشاء؟

عُثمان: وكيف أعرف مظهرك الحقيقي؟؟

عَنَاة: هذا مظهري الحقيقي..

عُثمان: هذا وجه كَارمن..

عَنَاة: هذا وجهي أنا وليس وجه كَارمن، لو قُلتها مرة ثانية لحرمت كَارمن وجهها.

عُثمان: لا تفعلي ذلك أرجوكِ..

عَنَاة: دعوتكَ إلى هنا لكثير من الأسباب..

فأنا اخترتك،

اخترتك من بين كل البشر، أنت المختار..

عُثمان: مختار لماذا؟

عَنَاة: مختار منّي لي..

أولاً: اخترتك خليلاً، وثانياً: اخترتك لتقود مدينة أوغاريت..

عُثمان: أنا أقود أوغاريت؟ وأنا غريب عنها؟

أنا قادم من عصر لا يوجد فيه أوغاريت..

عَنَاة: أنت جِبِلَةُ هذه الأرض، لذلك اصمت وافهم..

ستقود سكان أوغاريت، لينتهوا من مستبدهم ويتخلصوا منه ويتنصروا على الظالم الملك كارت..

عُثمان: لكن لا أحد يعرفني سوى رَبَانُو..

عَنَاة: وربانو يكفي.

ابحث عن طريقة ما

طريقة لا تَقتلُ فيها أحد، تُزيلُ فيها القاتل

طريقة لا تَظلمُ فيها أحد، تُسقطُ فيها الظالم.

فإن ظلمتَ وقتلتَ هُزمت، فالحذرَ الحذر.

عُثمان: هل يمكن أن تكون معي كَارمن لتساعدني.

عَنَاة: كَارمن، كَارمن، كَارمن، كَارمن...

حسناً ولكن، إيّاك أن تُقبلها..

عُثمان: حسناً، لكن لماذا؟

عَنَاة: لأنّي عَنَاة وأنت خليلي الآن، بعد أن تنتهي من كارت افعل ما تشاء ..

عُثمان: وإذا انتصر عليَّ كارت ماذا سيحصل لي؟

عَنَاة: سيقتلك هو، وتموتَ أنتَ وكَارمن..

عُثمان: وإذا انتصرتْ؟

عَنَاة: ماذا تريد أنتَ مكافئة لكَ؟

عُثمان: أريد العودة إلى زماني، إلى العصر الذي قدمت منه..

عَنَاة: وحدك؟

عُثمان: لا، أنا وكَارمن..

عَنَاة: حسناً، لك ذلك..

"ثورة أوغاريت"

الثورة الحقيقيّة تبدأ داخلنا

عُدتُ للمنزل وعند وصولي سألتني كَارمن كيف كان لقاءك بعَنَاة؟

جلست متنهدًا: جيّد قليلاً..

كَارمن: أخبرني بكل ما جرى..

عُثمان: دعيني أرتاح قليلاً..

كَارمن: أخبرني الآن ما دار بينكم في السهل الأصفر؟

عُثمان: وما أدراكي أنّنا ذهبنا للسهل؟

كَارمن: ممم، توقّعت..

عُثمان: هل لحقتِ بي إلى هناك؟

كَارمن: نعم، لقد لحقتُ بك، خشيتُ عليك منها..

عُثمان: شقيّة أنتِ، لا تقومي بذلك مرة أخرى، فعَنَاة خطيرة جداً..

كَارمن: لا يهمني، أخبرني بسرعة..

عُثمان: طلبت مني أن أخلع كارت من حكمه مقابل أن تعيدنا لعصرنا.

وأيضًا طلبت منّي ألّا أقبّلك أبداً..

كَارمن: ماذا ألا تقبلني..

ركضت كَارمن إلي وحضنتني وقبلتني بقوة..

عُثمان: يا مجنونة، لقد هددتني، ستقتلنا..

كَارمن: هي قالت لكَ ألّا تُقبلني، ولم تقل لي ألّا أقبّلك.

عُثمان: لم تسأليني عن كارت وعودتنا، وسألتِ عن القُبلة يا مجنونة.

كَارمن: لأنّي أحبك وسأقبلك إن رضيت عَنَاة أو رفضت،

أنا أغار عليك.

عُثمان: هل تحبينني إذن؟

كَارمن: نعم أحبك يا أحمق..

عُثمان: وأنا أحبك، وعلينا أن نقوم بما طلبت عَنَاة لتعيدنا إلى عصرنا..

وهناك يمكننا أن نعيش بحرية بعيداً عنها..

كَارمن: حسناً، لكن تذكر أنتَ لي.

عُثمان: الغيرة جعلتكِ تعترفي بحبكِ بسرعة.

كَارمن: اصمتْ.

عُثمان: حسناً، هيا لنستشير رَبَانُو، فعَنَاة قالتْ هو معنا..

خرجنا باتجاه منزل رَبَانُو، نحمل مشروعاً كبيراً وخطيراً.

كيف نقوم بتغيير الملك ونحن لا نعرف أحد، كيف ننتصر على كارت وهو الملك القوي ذا الجُندِ والجيوشِ..

جلسنا عند رَبَانُو وأخبرناه بكل ما حصل معنا وطلبات عَنَاة..

صمتَ طويلاً ونظرَ إلينا..

وقال:

كارت حاكم مستبد، في الماضي كان ملوك أوغاريت أكثر رحمة وأكثر عطفاً على الشعوب وكانوا يراعون أعراف المدينة، وكانوا يسألون الناس ويستشيرونهم.

أما كارت فهو ملكٌ ظالم، فقد حَرَمَ الناس قُوتهم وصَادرَ محاصيلهم ودوابهم وباعاها واشترى بثمنها الذهب ودفنه في مكان بعيد. وإنّ قوة كارت تكمن في الزُمرِ التي تدافع عنه، وخاصة أنّ حرسه مخلصين له لأنّه يعطيهم الكثير من المال.

عُثمان: كيف ننتصر عليه؟؟

كَارمن: الحرب؟

رَبَانُو: سنُهزمُ لأنّه قوي.

عُثمان: أوصتنا عَنَاة ألّا نقتل أحد، ولا نظلم أحد. لذلك لا نستطيع أن نهزمه بالحرب.

رَبَانُو: لا أعلم، لكنّ الخطوة الأولى لهزيمة الظالم هي الوعي والمعرفة، فالشعب الواعي لا يُهزم والشعب الجاهل هو مطيّة المستبدين.

عُثمان: خطرتْ على بالي فكرة، وهي أن أدرّس الناس وأعلمهم وأثقّفهم في أمور الحياة والسياسة والحكمة حتى يصلوا لدرجة من الوعي ومن بعدها نقوم بالتغيير.

كَارمن: وكيف يكون هذا التغيير؟

عُثمان: عندما يصل الناس لدرجة جيّدة من الوعي، سنقود الناس جميعاً نحو قصر كارت وندخل إليه ونزيله.

رَبَانُو: لكنه سيحارب حتماً.

كَارمن: نستطيع أن نمنعه من الحرب إذا سلبناه سلاحه.

عُثمان: كيف؟؟

كَارمن: سلاح الملك جنده وحرسه...

فإذا حرمناه منهم تنازل صاغرًا عن عرشه وحكمه.

أنا سأتولّى ذلك عندما نصل إلى تلك المرحلة.

رَبَانُو: حسناً، سأجمع الناس غداً في ساحة المدينة وأقول لهم أنّك معلم حكيم تعلّم الحكمة، لتبدأ أنت في تعليمهم.

عُثمان: ستشاركني ذلك كَارمن...

رَبَانُو: حسناً، لكن لك فقط سبع دروس، أي سبع أيام فقط.

لأنّ الملك سيشعر بعد ذلك بشيء غريب.

عُثمان: سأحاول، وعلينا خلال تلك الفترة تجنيدُ أتباع سريين يساعدوننا في هذه المهمة..

"اليــوم الأول"

الأنــا

أيّها الإنسان..

الإنسان ابن أفكاره، ولِدَ على هذه الأرض وجُبلَ بطينها ونَبتَ فيها كما تَنبتُ الأشجار، فعلينا أن نهذّب النفس ونُدعِّم العقل ونبنيه.

وتبنى العقول بالمعرفة وتبنى القلوب بالرحمة..

فتأملوا تَعرِفُوا، وارحموا أخيكم يرحمكم الرب..

الروح هي سر الكون، وهي النزوعُ فينا نحو القُدسية الكبرى..

والجسدُ لِباسُ الرحلة، وقاربنا في بحرٍ تلاطم..

فاعتنوا بأنفسكم وصونوا قلوبكم وابنوا عقولكم...

وما الحياة إلّا رحلة والوقت عدّاد أفكاركم..

كلّما تفكّرتم وصلتم،

فتفكّروا في السماء والأرض والنجوم والأجرام والكون حولكم..

فإنّ رجلاً صالح بعدكم قال:

وتحسب أنّك جرمٌ صغير وفيكَ انطوى العالم الأكبر.

"اليوم الثاني"

نحن

إنّ القوم قومان..

قومٌ كورقة خريف تسقط فتحملها الريح أينما شاءت، فتصير هباء منثورا..

وقوم تجمّعوا وتعاطفوا وتماسكوا، فصاروا شجرة باسقة أغصانها ممتدة جذورها لا تقدر عليها الريح ولا يطالها أحد.

فالقوم إن تجمعوا أجمعوا وقويت شوكتهم وزاد خيرهم فيهم.

إنّ الإنسان الواحد يرى نفسه، إن كان فطناً، جزءًا من المجموع..

فمجموع الغير هو نحن جميعاً..

يجب أن نَعرف عن بعضنا أكثر، فشكلنا ليس إلّا الظاهر منّا.

فخيرنا هو من فهم غيره وتفهمه وتقبّله..

فالاختلاف نعمة

والصراع نقمة..

فمن الجميل أن نختلف لنكون باقات من الأزهار مختلفةٌ ألوانها.

فإذا تَصَارَعنَا، صُرعنا.

"اليوم الثالث"

الوطن

أنتم الوطن..

الوطن هو الناس، الوطن ليس الحجارة والطرقات، الوطن بسكانه..

أنتم تحملون الوطن في صدوركم أكثر مما يحملكم الوطن داخله.

الوطن هو ابتسامة طفل

هو أحلامكم..

الوطن هو حلمنا..

الوطن هو نظرتنا جميعاً، وحلمنا بمكان يحمل لنا الخير والسلام..

فإذما تغيّر حال أوطاننا وصارت مرتعًا للأشرار نبحث عن رأس القوم ففيه الفساد..

فإذا فسد الحاكم فسد الشعب..

فيكون على الشعب أن يصلح من نفسه ليغيّر الحاكم..

"اليوم الرابع"

الخير، الجمال، الحق

الخير هو الخيرة، والسر الذي فينا هو أن نمدّ يدنا لنساعد الإنسان والحيوان والنبات..

أن نُقيم الإنسانية في كل مكان، فأن تكون إنسان يعني أن تكون خَيّرًا.

فالإنسانية هي الخير..

وكلما ساد الخير في قوم رَقّت أحوالهم وحَسُنتْ مجالسهم وطابت أوطانهم.

فكن خَيّراً تكُن إنساناً..

والخير يفضي للجمال، والجمال هو التناسق والانتظام والفوضى المنتظمة.

نحن جميلون جميعاً..

باختلاف أشكالنا وألواننا جميلون..

والفن ابن الجمال، فكونوا فنانين وأبدعوا الجمال في تصرفاتكم ولوحاتكم وغناءكم وكلماتكم.

والحقيقة هي ابنة البحث، والحق هو الله.

"اليوم الخامس"

الحكمة

الفكرة لا تموت..

والحكمة جوهرة الحياة..

من نال الحكمة، نال السعادة ومن عرف الحياة عرف الحكمة..

الحكمة هي أن نعرف وأن ندرك وأن نُقدر ونعطي كل شيء قدره.

والحكيم ليس العالم بكل شيء بل هو المقر بجهله وعجزه أمام عظمة هذا الكون الكبير..

فأوصيكم بثلاث:

الفكرة

المعرفة

الحكمة.

"اليوم السادس"

السياسة

السياسة ليست عمل الحاكم والوزراء والقادة..
بل السياسة هي عمل الشعب..
السياسة هي تسيير الأمور بما فيه صالح الناس أجمع..
فإن صارت السياسة عملاً يهمّ الحاكم وما لف لفه،
فإنّ الدولة قد صارت إلى فساد شاع وأمير باع..
أيّها الشعب إنّ السياسة واجب عليكم
وإنّ الوطن يحتاج دواماً لشعب يفقه الأمور ويقدرها..
فالسياسة هي سوس الخير للناس..

"اليوم السابع"

الحُرية

الحرية هي كل شيء..

الحرية أن تستطيع، أن تفعل ما تريد أيمنا تريد، وكيفما تريد، وحينما تريد...

لا تسمحوا لأحدٍ أن يسرق حريّتكم فهي أغلى ما لديكم..

ولا تبادلوا الحرية بشيء..

الحريّة أقوى من الجيوش والسجون..

الحرية هي كل شيء، فإن ضاعت ضاع كل شيء..

الليلُ سِترُ العاشقين

الليلُ سِترُ العاشقين، الليل سكينة الثائرين والليل طمأنينة الخائفين..

حلَّ الليل علينا بعد سبع أيام من التعب، ومن الدروس والاجتماعات والدعوات، نعلّم الناس خلالها ونُفقههم ونقرأ عليهم الفلسفة والحكمة والسياسة حتى يعوا ما لهم وما عليهم..

كانت كَارمن ثورة حقيقية، تندفع بين الجموع وتشرح لهم وتناقشهم وتذهب لامرأة مسنّة تساندها وتَحمل معها.

وتلاعب الأطفال وتسامرهم وتشرح لهم الحكمة بطريقة مبسطة وكأنّها تلعب معهم.

في قلب كل امرأة ثورة..

جلستْ كَارمن وكان معها وشاح قرمزي جديد، قدمتهُ لها إحدى النساء كعربون شكر وحب لها.

لم يكن سكان أوغاريت يعلمون القادم لهم، كانوا فقط يتعلمون ويزداد وعيهم وكلما تعلموا عَلِموا أنّ الوضع الذي هم فيه إنّما بسبب سكوتهم وضعفهم مما زاد في تمادي الملك كارت.

كثُرت النقاشات بينهم وعلتْ أصواتهم وهم يتحدثون عن الحرية والدولة والشعب وظهرت عليهم فِطنة لم تكن فيهم فيما مضى.

فالعلم غيّرهم.

كَارمن: هل أنت جاهز؟

عُثمان: نعم، مستعد لكلّ شيء..

ما الخطة الآن..

كَارمن: لدينا سلاحين ليسوا مع غيرنا، معرفتنا التي تسبق معارفهم وهاتفكَ الجوال..

عُثمان: وماذا نفعل بالهاتف؟

كَارمن: هو بالنسبة لهم شيء غريب، لذلك يجب أن يكون تحركنا ليلاً، سنستخدم ضوء الهاتف في اللحظة الحاسمة فهم لم يروا قط ناراً بيضاء،

والنار البيضاء هو ضوء الكاميرا..

ولكن يجب علينا أن نصل للملك ونظهر ضعفه أمام الناس أمام التكنولوجيا التي معنا، فإذا ظهر ضعفه انحسر عنه جنده..

وحينها سيترك العرش صاغراً..

عُثمان: سنحاول ولكن كيف سنصل للملك وكيف سيدخل الشعب معنا إليه؟

كَارمن: نحتاج أن نُخرجه إلينا..

عُثمان: يجب أن يساعدنا رَبَانُو، سنطلب منه أن يخرج الملك ليرى الضيفين الغريبين كيف يحدثون الناس ليلاً والناس بدأت تتبعهم.

كَارمن: أعتقد أنّ رَبَانُو يستطيع ذلك..

عُثمان: نحن نثق به، غداً ليلاً موعدنا في ساحة المدينة..

سأذهب غداً لأقابل عَنَاة، سأخبرها أنّنا سوف ننتصر على كارت مساءاً، لتعيدنا إلى زماننا..

كَارمن: سأذهب معك..

عُثمان: لا تذهبي معي، أعتقد أنّ عَنَاة لا تحبك..

كَارمن: وأنا لا أحبها..

سأذهب معك يا عُثمان، لن تذهبَ وحدكَ..

عُثمان: أرجوك، أخاف عليك منها، إنّها قوية جداً وسنعود غداً إلى وطننا وينتهي كل شيء..

كَارمن: إيّاك أن تلمسها أو أن تتكلم معها فيما ليس لك فيه..

عُثمان: أنا أحبك ..

كَارمن: أحبك جدًا.

الموت نهاية البداية

لم يكن الموت هو النهاية بل كان نهاية البداية، نهاية الرحلة الأولى فالقادم أكبر من أن ينتهي..

الحياة حيوات..

قد نموت في أي لحظة..

على قارعة طريق

على كرسيّنا الخشبي

في سريرنا الدافئ

وفي معركتنا الكبرى..

الموت لا يهتم بالمكان ولا يختار مكانه، نحن من نختار أين نموت..

الموت يختار لنا فقط متى نموت..

ونحن نحدد كيف وأين نموت..

فإذا كان الجميع مفارقاً هذه السفينة، فلنكن شُجعاناً ونموت ونحن واقفين، صامدين..

اليوم قد نموت ونحن نحاول إسقاط كارت، لكن مهما كانت النتيجة سأكون سعيداً وراضياً..

أنا اخترت العيش فداء لأوغاريت ليس رغبةٍ بالعودة، بل رغبة في مساعدة هذه المدينة الجميلة..

أنا اخترت أن تكون أوغاريت وكَارمن قضية حياتي..

أنا أعيش للحب وللثورة..

فالحياة عشقان، عشق القلب وعشق الوطن..

سأتّجه بعد قليل إلى عَنَاة وآمل أن يكون كل شيء على ما يرام..

آمل أن تنتصر أوغاريت، ونعود لنعيش بسلام أنا وكَارمن..

خرجتُ من البيت قبل أن تصحو كَارمن، وسأحاول أن أعود باكراً، أعرف أنّها تغار عليَّ جداً وتخاف من عَنَاة..

آمل أن تكون عَنَاة صبورة وهادئة..

مشيتُ أشق الطريق نحو عَنَاة والشمس تشقُ السماء معلنة ولادة الفجر..

هذا اليوم يومٌ عظيمٌ، سيحدد مستقبلنا، مستقبل أوغاريت ومستقبلي أنا وكَارمن..

وصلتُ للكهف وجلستُ أمامه على صخرةٍ كبيرةٍ كي ألتقطَ أنفاسي..

اقتربتْ مني هِرة شقراء وجلستْ قربي، كانت هادئة جداً وودودة.

مددت يدي إليها لأداعبها وأمسح على رأسها..

ذكرتني بالهرة التي وجدتها بالكهف هي وأطفالها عندما دخلته أوّل مرة بعد أن دلّني عليه العم أحمد.

كانت هادئة جداً وناعسة، يبدو إنّها قطة أليفة..

جربتُ أن أحملها وعندما أصبحت بين راحتيَّ، صرخت بقوة وعضتْ يدي بشراسة وركضتْ بعيداً..

يدي تنزف من أثر العضة، وكأنّها عضة نمر وليست عضة قطة أليفة.

ماذا فعلتُ لها حتى تَغيّر مزاجها بهذه السرعة، ربطتُ منديلاً كان معي على يدي ووقفت أنتظر عَنَاة..

هذا المكان مجنون، أعتقد أنّ القطة مثل عَنَاة، لا نعرف متى تنقض على فريستها.

أتمنى ألّا نكون أنا وكَارمن فريسة لعَنَاة ذات يوم أو ذات غضب..

خرجت عَنَاة ولكن هذه المرة من الكهف، إنّها ترتدي ثوباً أبيض مرصّعاً بجواهرٍ لم أرَ مثلها قط.

تقدمتْ نحوي وهي تبتسم وتنظر إليَّ نظرة لم أفهمها..

وصلت وقالت:

تأخرت، انتظرتك طويلاً..

عُثمان: اليوم سوف ننتصر على كارت..

عَنَاة: حسناً، هذا جيد..

عُثمان: نحن سنقوم بما طلبتِ وعليكِ مساءًا إعادتنا إلى زماننا..

عَنَاة: أنا أقررُ متى تعودون وليس أنتم..

عُثمان: لكنكِ قلتِ سوف تعيدننا عندما نهزم كارت..

عَنَاة: لن أعيدك حتى تدخل الكهف معي وحتى أنجب منك ابنًا، ليكون ابن عَنَاة العظيمة..

عُثمان: لن أقوم بذلك، إنّ قلبي مولهٌ ومغرمٌ بكَارمن، ولا أستطيع أن أخونها..

عَنَاة: هل ترفض عَنَاة العظيمة، عَنَاة الجميلة، عَنَاة القوية والفاتنة؟؟

عُثمان: إنّ القلب لا يتسع إلّا لشخص واحد.

والقلب لا يحمل مفاتيحه إلّا يدٌ واحدة.

عَنَاة: سأقتلها إذن ..

وأنتقم منكم شر انتقام..

عُثمان: لا لا تفعلي ذلك أرجوك.

أنت طلبتِ أن نهزم كارت، وسنهزمه وعليكِ أن تفي بوعدكِ لي..

عَنَاة: اذهب أيها الأخرق قبل أن أقتلكَ أيضاً، أنا غاضبة، غاضبة جداً... عنااااااااة لا تُرفض.

فتحتْ عَنَاة أجنحتها الضخمة وحلَّقت في السماء بطريقة جنونية، وظلّت تحلّق حتى غابتْ في الأفقِ...

عُدتُ للمنزلِ، كنتُ أسيرُ وأفكرُ ماذا ستفعل عَنَاة بنا أنا وكَارمن بعد أن رفضتُ عرضها؟

هل ستقتلُ كَارمن؟

وماذا تعني الحياة إذا فقدتُ كَارمن؟

هناك أشخاص، الحياة لا تستمر بعدهم

ولا لون بعدهم إلّا لون الحداد..

سأخبر كَارمن بكل شيء، وسنقررُ أنا وهي ماذا سنفعل..

عَنَاة تريد منّا هزيمة كارت فلو تأخرنا بذلك قد لا تؤذينا وتنتظرنا حتى نهزمه وتعطينا المزيد من الوقت..

سأقترح ذلك على كَارمن..

دخلتُ المنزل، كانت كَارمن نائمة، جلستْ قربها أتأمل ملامحها..

هي ذاتها ملامح عَنَاة لكن لكَارمن روح جميلة لا مثيل لها..

الأرواح أجمل من الأجساد..

وكَارمن أجمل النساء..

أميرتي النائمة، ما أجملها!

فتحتْ عينيها وعندما رأتني تبسمتْ وقالت: تعال إلي..

اقتربت منها وزرعتُ قُبلة على جبينها..

انتبهت كَارمن ليدي وهي مضمدةٌ بفعل عضة الهرة، أمسكت يدي وضمتها إليها وقالت: ماذا جرى لكَ؟

عُثمان: ذهبتُ إلى عَنَاة وحين كنتُ بانتظارها عضتني هرة..

كَارمن: وعَنَاة ماذا قالت لك، متى سوف تعيدنا؟

عُثمان: لن تعيدنا، قالتْ هي وحدها من تقرر متى تعيدنا وطلبت مني طلباً ما ورفضته..

كَارمن: ماذا طلبت؟

عُثمان: طلبت مني أن أدخل معها إلى الكهف وأن تَحمِلَ بابن منّي..

كَارمن: ماذا؟ ماذا تقول؟؟

تراودك عن نفسك وتطلب ولداً منك..

سأقتلها قسماً..

عُثمان: إنّها قوية جداً، وبعد أن رفضتُ عرضها غضبتْ جداً وتوعدتْ وهدّدتْ، ستقتلنا..

كَارمن: لنَمت معاً أو لنَعش معاً، المهم نحن سوياً..

عُثمان: كنتُ أفكر أنّ عَنَاة تريدُ منّا هزيمة كارت، فلو تأخرنا بذلك قليلاً قد نَتَقِي شرها لبعض الوقت فهي ستنتظرنا حتى نهزمه.

كَارمن: لا، سننقذُ شعبَ أوغاريت..

لم يعد هدفنا العودة إلى زماننا، هدفنا هو مساعدةُ أوغاريت هذه بلادنا، هذه سوريا..

سنكمل ثورتنا ضد كارت ونقود الناس نحو السلام..

عُثمان: أحبك يا ثورتي، أنت ثورة القلب ..

السلام غاية الإنسانية

سيحلُّ المساء ودرسنا بعد نصف ساعة، تأكدتُ من شحن هاتفي المحمول، لايزال فيه 20.%

ارتديت ثياباً جديدة ورأيت كَارمن وهي تجهز نفسها وتزينت بأبها شكل وعقدت شعرها..

تقدمت نحوها ونظرتُ إليها، الأملُ يشعُ من عينيها وتتقدُ الإرادة فيهما اتقادًا.

فتحتُ هاتفي المحمول، رأيت صورتي أنا وكَارمن التي التقطناها في ثاني يوم هنا، وأيضاً شاهدتُ صور اللاذقية..

كم اشتقت اللاذقية وبحرها ونسيمها وجبالها وشوارعها..

اشتقتُ دمشقَ وأمي والجامعة وطلابي..

وجدتُ فيديو مضحك كنت قد حملته في الماضي أدرتُ هاتفي باتجاه كَارمن،

ضحكتْ من الفيديو كثيراً..

كَارمن: لو عدنا للزمن الذي أتينا منه ما هو أول شيء سنفعله؟

عُثمان: سنتزوج وبعدها سننام.

كَارمن: هههههه أنت غريب، لمَ سننام؟؟

عُثمان: تعبنا، نريد أن نرتاح قليلاً، أن نغمض أعيننا ونغفو ولا نخاف من شيء ونبقى سوياً دائماً..

كَارمن: أحبك، سيكون كل شيء على ما يرام.

"بجانب كل رجل عظيم امرأة عظيمة"

لم يكن الحب صدفة، الحب قدر، ولم تكن الثورة صدفة إنّه الوعي..

الحب أن تجد توأم روحك...

فالحب ليس أن تختار أحدهم، الحب ألّا ترى خيارًا غيره.

والحب الحقيقي أن تكون مستعدًا للموت في سبيل الحب، كما أنت مستعدٌ للحياة في سبيله..

الإنسان يختار طريقه، كل واحد منا يقررُ من سيكون. والحياة تمنح فرصها لمن يريد.

الحياة تأخذنا في رحلة نحسب أنّنا نتعرف من خلالها العالم فنعرف من خلالها أنفسنا..

لم نكن في الحياة عابري طريق نحن أصحاب الحياة وعُشاقها..

الحياة لنا، الأحلام لنا، اليوم وغداً لنا..

هذه الحياة بكلّ ما فيها لنا..

نحن صناع الحياة..

أمسكتُ يد كَارمن وخرجنا، كان الليل قد حلّ والسماء مرصعة بالنجوم، والبدرُ في تمامه.

والنّاس في الطرقات، منهم من تجهز للذهاب للساحة ومنهم من انشغل بيومه..

الأطفال يلعبون وتلك امرأة تُعدُ العشاء على باب بيتها..

نظرنا أنا وكَارمن للسماء كانت عَنَاة تحلق عالياً..

قبل الوصول للساحة قابلنا رَبَانُو، كان قلقاً يستند لعصاه، وقفنا أمامه نظرَ إلينا طويلاً ووضع يده على كتفي وقال:

إنّها المحاولة الوحيدة، الأولى والأخيرة لنا..

مهما حصل أنتم أبطال..

ابتسمتُ له ووضعتْ كَارمن يدها على كتفه وهزت رأسها.

مشينا باتجاه الساحة، بدأ الناس يتجمعون ويتحلقون بشكل دائري، هذه المرة وضعنا أخشاب وأحجار لتبدو وكأنّها مسرحٌ لنا.

وكنّا قد أحضرنا معنا بعض الألواح الزجاجية التي سوف نستخدمها في خطّتنا..

وقفنا أنا وكَارمن على المسرح..

نظرتُ إليها، وهي تنظر للسماء..

كانت السماء وكأنّها تجلت في عيون كَارمن، وكأنّ القمر يقبلُ وجنتيها..

كانت شاردة الذهن، لم تنتبه لي وأنا أتأمل الجمال فيها..

عُثمان: كَارمن هل أنت خائفة؟

كَارمن: خائفة عليك..

عُثمان: سننجح..

كَارمن: أتمنى ذلك، أتمنى لأوغاريت عيشاً آمناً وحُراً.

عُثمان: عَنَاة كانت تحلّق في السماء..

كَارمن: رأيتها، أعتقد أنّها تراقب ما سنفعله اليوم..

عُثمان: هل ستعيدنا إذا نجحنا..

كَارمن: لا أعتقد ذلك، أعتقد أنّها تريد أن تتسلى بنا قليلاً..

عُثمان: الآن، إمّا أن ننتصر أو نموت..

كَارمن: إما ننتصر أو ننتصر..

عُثمان: تعلمتُ منك يا امرأة، أنّ المرأة هي قوة البشرية الكبرى، وأنّ في داخل المرأة روح طيبة وعنيدة..

كَارمن: أحبك، نحن معاً صنعنا كل شيء.

وقفنا أنا وكَارمن نتأمل الحاضرين..

تغيّروا كثيرًا خلال الأيام السبع، اتّسعت حدقات عيونهم، فأبصروا أشياء لم يكونوا يبصرونها، وازدادت هيبتهم بالحكمة التي نالوها.

كانوا يحملون في أيديهم مشاعل النار ويجلسون هادئين بانتظار الخطبة الأخيرة والكلمة الأخيرة. وبانتظار هذا اليوم الذي وعدناهم فيه بمفاجئة كبرى.

وفجأة صعدتْ هرة إلى المسرح، هرة شقراء، هي ذاتها التي عضتْ يدي عندما كنت أنتظر عَنَاة، لا أدري كيف أتت وقطعت تلك المسافة..

هل أرسلتها عَنَاة، وهل هي جنية أو إحدى خدم عَنَاة..

أو تكون هي عَنَاة ذاتها أتت لتراقب وتقتصّ منّا..

هل هدأت عَنَاة ونسيت رفضي لها أم أنّها ستقتلنا بعد أن ننتهي من كارت؟

هل سننجح في مواجهة كارت؟؟

لا أدري على يد من سنموت، هل سيقتلنا كارت أو عَنَاة؟؟

اقتربتْ القطة منا، إنّها تُصدر صوتاً غريباً، وتسير وكأنّها تتأهّب للهجوم، هي تقترب من كَارمن..

أخبرتُ كَارمن، إنّها القطة التي عضتني عندما انتظرتُ عَنَاة..

التمعت عيون كَارمن وكأنّها تدخل حرباً مع القطة، وبدأتْ النظرات بينهما وكأنّهما حقاً سيدخلان في معركة..

كانت القطة تقتربُ أكثر من كَارمن، وتسير ببطء..

حملتُ عصى كانت قربَ المسرح وركضتُ باتجاه كَارمن وقفتُ أمامها وضربتُ العصا على الأرض، لكن القطة لم تهرب..

ولم تخف حتى، يبدو أنّها ليست قطة عادية، إنّها قطة مُرسلة..

كان الناس يشاهدوننا وكأنّنا في حلبة مصارعة..

قررتُ أن أُنهي المعركة معها، ركضتُ بسرعة باتجاه القطة وركلتها بكل قوتي، صاحت القطة بصوت متألم وزأرتْ وابتعدتْ..

وما إن ابتعدت حتى ظهرتْ عَنَاة في السماء وهي تحلّق غاضبة..

يبدو أنّ عَنَاة لا تريد لنا خيراً، إنّها غاضبةٌ، آمل أن يمر كل شيء على ما يرام..

أمسكتْ كَارمن يدي ونظرتْ إلى السماء بتحدي وكأنّها تريد أن تقول لعَنَاة: إنّه لي..

وبقيت كَارمن ممسكة يدي لا تفلتها أبداً.

تجمعَ الناس واكتملَ الحضورُ، لم يبقَ شيء، يجب أن نبدأ..

اقترب رَبَانُو منّا كان يسير بخطى هادئة يجر عصاه وعندما وصل صعدَ المسرح ووقف قربنا..

وقال: سأقدمكم اليوم للناس، وبعدها سوف أرسل الملك لكم، لا أدري إذا كنّا سننجح، لكنّني معكم حتى النهاية.

سأقول للملك أنّكم تدعون لعزله وسأدعوه ليَحضُرَ هو وكل جنده، سيأتي مع كل جنده وحينها عليكم أن تُنفّذوا خطتكم.

أنتم تقومون بأكثر الأشياء خطورة..

ابتسمنا له وأردف: سأقدمكم للناس الآن، وقف أمام الناس على المسرح ورفع عصاه للأعلى فصمت الناس جميعاً وكأنّهم فهموا عليه وقال:

أين هم الملوك؟ ملوك الزمان القديم العظام؟

الذين لم تعد النساء تحمل بمثلهم ولم تعد السماء تلد مثلهم

كم هي بعيدة السماء؟ اليد لا تعرف ذلك..

كم هي عميقة الأرض؟؟ ما من أحد يعرف ذلك..

ماذا يفعل البشر؟

هم أنفسهم لا يعرفون معنى أيامهم ولياليهم..

إنّها بيد الآلهة.

أيّها الناس سأذهب وأترك فيكم معلمان لا يَكذِبان وقلبان يُشفقان عليكم أكثر من شفقتكم بأنفسكم، إنّهما جذوة مدينتنا وأجرامٌ في سماء أوغاريت..

فاتبعوهم ولو مشوا بكم في النار فهم يعرفون الطريق..

ضرب رَبَانُو عصاه بالأرض وذهب باتجاه القصر، كان يسير ببطء وكأنّه يعطينا وقتاً لنكون جاهزين..

وقفتْ كَارمن أمام الناس ونظرتْ إليهم تمعنتْ فيهم وتلفتتْ يميناً وشمالاً..

رفعتْ كَارمن يدها باتجاه الناس وقالت:

إني أحبكم..

أحبكم جميعاً، الحب هو القوة الكبرى، إنّكم اليوم تَعرِفُونَ عن أنفسكم وعن السياسة والحرية، والآن عقولكم تفتّحتْ كتفتح زهرة الشمرة في فصل الربيع، وها أنتم تقفون أمامي.

أنتم ربيع أوغاريت...

وإنّ الله ابتلاكم بحاكم أرسل الخريف عليكم، فاستبد بكم وصادر حرياتكم وغير حُلة مدينتكم فصارت أكثر حزناً..

ومن عارضه فيكم، اقتص منه وقتله

وإنّه من خوفه على عرشه قتل ابنه ذو العشرة أعوام..

فلكم الخيار أن تعيشوا في قفص كارت أو سماء أوغاريت..

أنتم ترتيل السماء السابعة..

وأنتم كآخر قصيدة لشاعر ينازع..

سقطت سهوًا في غفلة من ملك الموت..

أنتم أمل أولادكم وأحفادكم وأمل أوغاريت..

لكن لا يُستبدل الظالم بظلم ولا القاتل بقتل..

وأنتم الآن تعرفون الطريق جيداً، وما نحن إلى جذوة معرفة ننقلها لكم.

الملكُ سيصل الآن، فإن وصل اقتص منا، فإن متنا سنعيش فيكم..

وإن عذبنا سيضمدُ جراحنا أطفالكم..

وإن بيكنا سنضحكُ في ثغوركم...

ابتسموا، ستنتصر الابتسامة.

وصلت جيوشُ الملك وحراسه واخترقوا الجموع، ووقفوا أمام المسرح... فتحوا الطريق للملكِ وكان يسير بين حُراسه مزهواً بقوته..

تراجعتُ أنا للخلف ولم يعد الجُند يرونني، وبقيتُ كَارمن على المسرح وحيدة، وقف الملك أمام كَارمن وقال:

ماذا تفعلين هنا أيتها الحمقاء..

هل تدعين الناس كي يقوموا ضدي، أتعرفين إنّي أقتل كل هؤلاء الناس بحركة من أصبعي..

أنا أبقى وأفنيهم جميعاً..

كَارمن: لن تستطيع..

الملك كارت: أتودين أن تري كيف أقتلهم ثم أقتلك بعدهم..

كَارمن: اقتلني أنا، هم استمعوا لي فقط وبقوا صامتين..

الملك كارت: صمتهم جريمة، سأقتلهم عليه، وأقتلك أيضاً وأجعلك عبرة لكل أوغاريت..

خلعتْ كَارمن وشاحها الذي كانت تضعه على رأسها ورمته باتجاه الجند وقالت:

إذا هب الهوى قمنا وحلفنا بالحب إنّا العاشقين

وإذا ثار القلب ثرنا وكنّا في الحياة الثائرين...

أمرَ الملك جنوده فركضوا باتجاه كَارمن يريدون انزالها من المسرح، فصرخ الناس فيهم وكأنّ الجموع تحوت لتظاهرة عارمة:

نحن فداء المعلمة، نحن فداء المعلمة.

أمسك الجنود بكَارمن وأنزلوها وضبطوا الناس، بقي الناس يصرخون ويهتفون وكَارمن يمسكها جنديان بقوة وأوثقوا قيدها.

نظر الملك لها وقال:

هل تجرأتِ على كارت الكبير، كارت الخالد..

سأقتلكِ الآن أمام الناس..

رفع كارت سيفه إلى الأعلى يريد ضربَ كَارمن..

لكن كارمن باغتته وبصقت في وجهه بقوة كبيرة مما جعله يعود للخلف ليمسح عن وجهه أثر البصقة وهو غاضب جداً..

وهنا صفقتُ أنا ألواح الزجاج التي أعددناها أنا وكَارمن سابقاً .

وضعنا مجموعة من الألواح بينهم مسافة محددة، وفي النهاية أشعلت ضوء هاتفي المحمول مما عكس ضوء كبيرًا بين الناس..

ضوء أبيضاً لا يعرفونه، وحملتُ في يدي حجراً..

ووقفت على المسرح..

كل الناس تنظر لي والضوء الكبير خلفي..

لم يفهم الناس ما هذا الضوء فهم لا يعرفون إلا ضوء النار والقمر والشمس..

وقفتُ أمامهم...

وصرخت بكل قوتي في الحَرَسِ..

أتركوا المعلمة أيها الحمقى..

لقد خاف الجند من الضوء، وكأنّهم تخيلوا أنّي تجلّي لإيل أو بعل..

حملت في يدي عصا ورفعتها للأعلى وكأنّي سأرسلُ عليهم الآن الرعد ليقتص منهم..

وقلت يا كارت، رُزقت ولداً فقتلته، لقد ظلمت الناس والآن تريد قتل المعلمة..

لن أسمح لك،

أترى الضوء هذا سأحيلهُ رعد يقتص منك..

ارتجف الملك وكأنّه يرى "بعل.."

رفعتُ عصاي للأعلى، وصرختُ بالجند: ابتعدوا عنه..

خاف الجند وابتعدوا عن ملكهم..

وهنا ضربت الملك بالحجر على رأسه فسقط عن رأسه تاج الملك ونزفَ رأسه وركض الملك باتجاه قصره وانفض جنده عنه..

وهنا قلت للناس اتبعوه..

خذوا حقكم منه، فقط من كارت..

لا تقتلوا أحداً ولا تظلموا أحداً..

اتجهت الجموع الغفيرة باتجاهِ قصرِ كارت، وركضتُ أنا باتجاه كَارمن..

كانت مستلقيةً على الأرض، فككتُ قيدها وضممتها إليَّ..

قبلتُ جبينها، نجحنا يا كَارمن، نجحنا فعلناها..

لم تتكلم كَارمن، كانت متعبة حقاً..

حملتها بين يدي ومشيت باتجاه المنزل، ووضعت رأسها في حُجري، كانت متعبة جداً..

وصل رَبَانُو مبتسماً وصافحني وضمني وقال: نجحنا..

عُثمان: رَبَانُو أرجوك أريد ماءً وطعام، كَارمن متعبة.

رَبَانُو: حسناً، سأجلبهم بسرعة.

ضممتُ كَارمن وجلستُ أمسحُ بيدي على شعرها، كانت حرارتها تزداد، إنّها مريضة..

إنّها تهذي، تُتَمتِمُ كلماتٍ غير مفهومة.

حاولتْ أن أفهم، إنّها تقول: عَنَاة، لا أريد، السماء، إنّه لي، لا، لا.

وتكرر كلمة "لا" كثيراً.

وصل رَبَانُو، خلعتُ قميصي وبللته بالماء ووضعته على رأسها حتى أخفف من الحرارة.

نظرَ لها رَبَانُو، وقال: هل يُعقل أن تكون عَنَاة من فعلت ذلك بكارمن؟

عُثمان: لا أعرف، ولكن نريد دواءً الآن..

رَبَانُو: سأذهبُ وآتي ببعض الأعشاب المغلية.

بقيتُ أبلُلُ قميصي بالماء وأضعه على جبين كَارمن، وأقبلُ جبينها ويدها وأدعو لها..

لو حصلَ لكِ شيء سأقتلُ عَنَاة..

جلستُ مُمسكاً يدها وأتأملها، وهي تَأِنُ تعباً وألماً..

فتحتْ عينيها ونظرتْ لي وهي ترتجفُ برداً..

وقالتْ: أشعرُ ببردٍ شديدٍ، ضُمني لكَ، أنتَ لِي..

ضممتُ كَارمن بكل قوتي، ضممتها وحاولتُ أن أساعدها كي تَشعر بالدفء ..

وصلَ رَبَانُو، كان يحمل معه وعاءً فخارياً..

أجلستُ كَارمن وأسندتُ رأسها إلى صدري وسقيتها من الدواء الذي أتى به رَبَانُو..

حتى انتهى الدواء بللتُ قميصي ووضعته على جبينها مجدداً..

التفتتْ إليَّ وقالتْ: أحبك.

عُثمان: وأنا أحبك يا كَارمن، هيا تَغلّبي على المرض، سنعود غداً ونتزوج..

ابتسمتْ كَارمن..

وغفونا كلانا من التعب..

استفقتُ صباحاً، كانتْ كَارمن نائمة ورأسها على صدري، وضعتُ يدي على جبينها لم تكن لديها حرارة مرتفعة، يبدو أنّها تحسنتْ..

فتحتْ عينيها وأمسكتْ يدي وقبلتها...

أحبكِ يا كَارمن..

نظرتْ إليَّ كَارمن وقالتْ: شكراً لكَ، أتعبتك البارحة..

عُثمان: لا تقولي شكراً..

سنتزوج يا كَارمن..

كَارمن: متى؟

عُثمان: اليوم هنا في أوغاريت..

كَارمن: وعَنَاة هل ستتركنا وشأننا..

عُثمان: كما هزمنا "كارت" سنهزم عَنَاة..

كَارمن: أحبك..

خرجنا أنا وكَارمن إلى باب بيتنا..

يا إلهي أعدادٌ كبيرة من سكان أوغاريت جلسوا أمام منزلنا، لقد عَلِموا بمرضِ "كَارمن" فجلسوا يدعونَ لها بالصحةِ وينتظرونا كي يشكرونا على ما فعلناه بالأمس..

تَقدمَ طِفلٌ نَحونا وقدمَ لكَارمن باقة من النرجس، وتقدمتْ سيدةٌ تشكرتنا وأعطتنا وشاحاً كانتْ تضعهُ..

كل الحاضرين تقدموا نحونا وسلموا علينا وشكرونا وقدموا لنا الهدايا تعبيراً على تقديرهم ومحبتهم لنا..

وصلَ رَبَانُو وكان مبتسماً، وسلم علينا ودعا لنا..

ذهبنا معه إلى بيته، وقدّم لنا الطعام، كانت مائدة عامرة بالطعام الأوغاريتي، يبدو أنّ السوريين ورثوا الطعام اللذيذ عن أجدادهم.

رَبَانُو: شكراً لكم، أنتم أبطال..

عُثمان: الشكر لكَ، لو لم تساعدنا ما استطعنا أن نفعل شيء..

كَارمن: شكراً لك رَبَانُو أنت معلمنا الحكيم..

رَبَانُو: ما خِطتكم الآن..

عُثمان: نريد أن نتزوج هنا..

رَبَانُو: والعودة إلى زمانكم؟

عُثمان: سنتزوج أولاً، ثم نفكر بالعودة..

رَبَانُو: إذن، سنحضرُ لكم عُرساً يليق بكم..

عُثمان: شكراً جزيلاً.

ابتسم

ستنتصر الابتسامة..

لأول مرة ومنذ بداية رحلتنا أنا وكَارمن نفترق..

أخذتْ بعض النساء كَارمن لتجهيزها ليوم الزفاف، أخذني بعض شبان المدينة لأتجهزَ أنا أيضاً..

بعد مضي كل هذه الأيام، اشتد طول لحيتي وشعر رأسي، فأخذوني لأقصَ شعري. قام بذلك أحدهم باستخدام مقصٍ تقليدي وصفف شعري ولحيتي بشكل جميل ومبهر..

بعد ذلك توجهنا نحو حمام المدينة، كان مكاناً دافئاً، توجد فيه مياهٌ في قُدور كبيرة وفي وسطه بركة ماء ساخنة..

قالوا لي أنّهم سوف يقومون بتغسيلي فرفضت ذلك وطلبت منهم بلطف أن أقوم بذلك بمفردي..

خرجوا جميعاً، ودخلت في بركة المياه كانت دافئة وساخنة..

شعرت بالاسترخاء وأغمضتُ عيني..

أتمنى أن تتركنا عَنَاة وشأننا، أعتقد أنّ زواجنا سيغضب عَنَاة وربما تحاولُ الانتقام منّي أو من كَارمن، أتمنى أن تنسانا..

فتحتُ عيني، فوجدت عَنَاة أمامي..

تجلسُ على الجهة المقابلة من البركة وتنظر إليّ كانت هذه المرة بشعرٍ أحمر ورداء أسود..

يا رب..

ماذا تُريدُ مني، كانتْ فقط تنظرُ وهي صامتة، هل أنا أتخيل؟

هل توتري جعلني أتوهم؟

لم أتمكن من النطق بأيّ كلمة، أنا عاريٌ وخائفٌ حقاً..

وضعتْ عَنَاة ساقيها في بركة المياه وبدأت تلعب بالماء وتحركهم وتجزف بهم.

ماذا تريد؟؟

نظرتْ إليَّ عَنَاة بلطف لم أفهمه وقالتْ:

هل ستتزوج يا عُثمان؟

عُثمان: نعم..

عَنَاة: متى؟

عُثمان: اليوم..

عَنَاة: أعرف، شكراً لك لأنّك نجحت بمهمتك وتغلبت على كارت..

عُثمان: لم أقم بذلك لأجلك، لقد قمت به لأجل الناس.

عَنَاة: ألا تريد أن تعود لزمانك..

عُثمان: لا أريد أن أعود وحدي..

عَنَاة: تريد أن تعود أنتَ وكَارمن صحيح..

عُثمان: نعم، أنا وزوجتي كَارمن..

عَنَاة: ألا تخاف عليها منّي..

عُثمان: أنتِ عَنَاة الكبيرة لن تتركي شؤونك وأمور الحب والحرب لتنتقمي مني ومن كَارمن ونحن نفذنا لكِ طلبك سابقاً..

عَنَاة: أنا أنثى، والأنثى إذا أحبّت تركتْ عرشها وحياتها وسماءها لأجل من تُحب..

عُثمان: لكن أنا أحبُ كَارمن وسأتزوج كَارمن اليوم..

عَنَاة: تتزوجها أو لا تتزوجها أنا من تُقرر..

عُثمان: اقتليني الآن وأرجعي كَارمن لزماننا..

عَنَاة: أريد ولداً منك..

هبني ولداً منك وسأعيدكما إلى زمانكما..

عُثمان: إذا وهبتك ولداً سأخون بذلك كَارمن والمحبُ لا يخون..

عَنَاة: إذًا انتظر ما يأتيكَ من عَنَاة..

قالتْ عَنَاة ذلك وضربتْ يديها ببعضهم وركلتْ الماء بقدمها وغابت عن المكان بسرعة..

مسحتُ وجهي بالماء، وقمت من الحمام ارتيدتُ ملابساً جديدة التي أهداني إيّاها سكان المدينة.

لم أعرف أين كَارمن الآن، لكن يجب أن أراها وأخبرها بكل شيء، قد تحاول عَنَاة أذيتها لذلك يجب أن نكون معاً دائماً لأساعدها حين الحاجة.

خرجتُ من الحمام وتوجّهت لمقابلة رَبَانُو بسرعة، كان رَبَانُو يجلسُ في غرفته يقرأ ويراجع بعض الأشياء.

جلستُ أمامه وقلتُ له: أرجوك ساعدني.

أرجوك ساعدني يا رَبَانُو أتتْ عَنَاة وهدّدتني وقالتْ: إنّها لن تسمح لي بالزواج حتى أهِبها ولداً مني..

ورفضتُ فغضبتْ كثيراً وذهبتْ..

أخاف على كَارمن منها، أخاف عليها لأنّ عَنَاة تُريد بنا شراً.

شراً كبيراً..

رَبَانُو: لا أعلم ماذا أقول..

عَنَاة مزاجيةٌ جداً ولا تحبُ أن يرفضها أحد، كانتْ في السابق قد قتلتْ أقهات لأنّه رفض أن يعطيها قوساً له.

لكنّها يجب أن تكرمكم لأنّكم هزمتم كارت وتُعيدكم لزمانكم كما وعدتْ، اليوم عُرسكم وأعتقد أنّ هذا سوف يستفزها جداً.

لن تفعل شيئًا خلال حفل الزفاف فكبرياء عناة سيمنعها من أذيتكم أمام الناس، ولكن أخاف عليكم إذا بقيتم ليلاً لوحدكم.

لذلك سأغيّر منزلكم اليوم، لدي منزلٌ صغير بعيدٌ عن المدينة لا أعتقد أنّ عَنَاة ستعرفه، لذلك ستنامون فيه اليوم.

عُثمان: سيكون كل شيء جيّد، مهما حصل سنكون راضين فخلال رحلتنا لأوغاريت وجدنا ذاتنا وتعرّفنا لأجمل الأشياء. وكان اليوم هنا بعام.

وأنا وكَارمن نموت معاً ونعيش معاً..

القفز نحو المستقبل

ليتنا نستطيعُ السفر عبر الزمن، لنقابلَ من أردنا أينما أردنا وحينما أردنا..

ليتنا نقفزُ نحو المستقبل، لنرى كيف سيكون حالنا؟ أو نعود مرة للماضي لنرى من فقدناهم فنُقَبلهم ونضمّهم لقلوبنا.

ليتَ لنا الفرصة أن نودّع من نفقدهم، أن نشتم رائحتهم لآخر مرة..

أن نقولَ لهم الحياة بائسة دونكم..

لو استطعتْ أن أهرب أنا وكَارمن من هذا الزمن، إلى زمن لا يوجد فيه عَنَاة ولا نراها فيه..

لو قفزنا نحو المستقبل لانتهى الأمر..

لكن كيف؟

أنا لا أدري حتى الآن كيف عدنا بالزمن إلى هنا؟

كل ما أعرفه أنّنا ابتهلنا عَنَاة، فدخلنا في برزخ العدم وخرجنا هنا في الماضي..

لو ذهبنا أنا وكَارمن لذاك المدفن هل سننجح؟

لكن كيف نطلب من عَنَاة أن تعيدنا وهي من نهرب منها؟

تُرى لو كانت عَنَاة لطيفة وخَيّرة هل كنا سنبقى هنا؟

خرجتُ إلى الحفل، وفي الطريق مررتُ بشوارع المدينة وزرتُ معالمها..

عَرَفتُ أنّ المدينة التي كنا نبحثُ عن أنقاضها تمتدُّ في كل الاتجاهات جميلةٌ مزدهرةٌ..

اللاذقية ابنة أوغاريت..

سوريا ابنة أوغاريت..

إنّنا جميعاً أبناء هذه المدينة الرائعة.

ثلاثة أطفال يلعبون بالحجارة وهم سعيدون جداً، جلستُ بجانبهم، وأنا أشاهدُ كيف يلعبون، ما أجملهم وما أسعدهم..

كانوا يضعون حجراً كبيراً ويبتعدون عنه ويُصوبون باتجاه الحجر بحصى صغيرة معهم..

يفرحون عندما يصيبون الهدف ويرقصون ويركضون، وأنا جالسٌ أتابعهم بشغف..

اقترب أحد الأطفال مني وناولني حجراً وأشار إليَّ أن ألعب معهم..

ابتسمتُ له ووقفتُ وسددتُ الحصى نحو الحجرِ الكبيرِ..

كانوا الحجارة الكبيرة مرتبة فوق بعضها وفي نهايتهم وضعوا غصن شجرة زيتون يابس..

سددتُ نحو الهدف، لكنّي لم أصبه..

ضَحِكَ الأطفالُ كثيراً لأنّي لم أنجح..

أخذتُ حجراً أخرى وسددتُ ولكنّي لم أنجح أيضاً..

ضحكوا كثيراً..

اقترب أحدهم منّي وأخذ حجرة وضعها في يده وقال:

عندما تسددُ انظر نحو الهدف، ولا تنظر إلى يدك..

كلما نظرتَ ليدك سترتجفُ أكثر، انظر إلى الهدف ستكون أكثر تركيزاً..

ومدّ يده نحو الأمام وأعادها للخلف وسدّد فأصاب الحجر..

ربتُ على كتفه وابتسمت، وسِرتُ نحو الفسحة سيكون الزفاف هناك.

كنت أرتدي ثياباً جميلة تشبه ثياب سكان اللاذقية التقليدية..

وصلتُ للاحتفال، الناس يرقصون ويغنون ويتمايلون..

وعندما وصلتْ بداية الساحة فتحَ الناسُ لي الطريق، اصطفَ الرجال على جانب والنساء على الجانب الآخر.. وبدؤوا يغنون:

يا نجوم السماءِ ويا قمر..

اليوم يفرحُ البشر..

غني معنا أيتها السماء..

فالحبُ سر القدر..

فالحب سر القدر..

الحب

الحب

الحب

يدوم الحب

يعيش الحب

قلب العروسان شمس وقمر

قلب العاشقين وعشق الدهر

يا نجوم السماء ويا قمر..

اليوم يفرح البشر..

غنّي معنا أيتها السماء..

فالحب سر القدر..

فالحب سر القدر..

ابتسمت للناس ومشيت بينهم وهم ينثرون فوقي وفي السماء الأزهار..

ويغنون حتى وصلت إلى نهاية الفسحة، كان رَبَانُو يقف هناك..

وقفتُ قربه، أمسكَ يدي وقال: انتظر عروسك..

ظللت واقفاً أنتظر، والناس يغنون ويرقصون ويتمايلون بسعادة..

متى تصل كَارمن؟؟

زفافنا على طريقة أوغاريت ونتبعُ تقاليدهم بالزفاف لذلك عليَّ أن انتظر عروسي حتى تحضر..

فجأة اصطف الناس كما اصطفوا قبل قليل، وبدأوا يغنون أغنية مختلفة:

عروسنا

ليستْ بشر عروسنا ملاك

عروسنا زهرة التوليب

توليب في قلب الحبيب

يا سماء باركي الجميلة

يا جبال أرسلي نسمات عليلة..

اليوم تتفتح في القلوب أزهار الشمرة

عروسنا جميلة

عروسنا ملاك

عروسنا جميلة

عروسنا ملاك..

كانت كَارمن تمشي بين الجموع وهي خجولة جداً..

ما أجملها وهي ترتدي ثوباً حريرياً أبيضاً، وتضعُ في رقبتها طوقاً من الياسمين وتسير بين الناس..

أوقفتها مجموعة من الشابات وتحلقوا حولها وبدؤوا يغنون لها ويطلبون منها الرقص..

بدأتْ كارمن ترقص وكأنّها ملاك، حقاً كَارمن ملاك..

تتمايل فيما بينهم وهم يغنون وبدؤوا يرقصون معها، وأنا أنتظر..

ما أجمالها!

جميلة، بهية، رائعة، حسناء، أَخَّاذة، جَذَّابة، ساحِرة، فتّانة، أَنِيقة، باهِرة، بَدِيعة، مَلِيحة القلب والروح، مُشْرِقة..

إنّها شمسي وقمري وعمري وسندي، توأم الروح..

كَارمن هذا الاسم الذي يعني الأغنية والأنشودة..

نعم، هي أغنيتي، أنشودتي، ترتيل قلبي..

أغنية الروح وأنشودة الجمال وتراتيل القلب النابضة في السماء..

وصلتْ كَارمن إليّ، أردتُ أن أمسك يدها لكن رَبَانُو قال: انتظر..

أحضروا وعاءًا كبيراً من الماء وعلى سطح الماء تطفوا الكثيرُ من الأزهار بديعة الحُسن، وضعهُ رَبَانُو ووقف خلفه وطلب منّي أن أقف على يمينه وكَارمن على يساره..

وأمسكَ يدي ويد كَارمن ووضعهم في وعاءِ الماء..

بحثتُ عن يد كَارمن وأمسكتُ بها، فابتسمتْ وخَجِلتْ وحينها ابتسم رَبَانُو وقال:

أيّها الناس، يا أهل أوغاريت، اليوم تفرحُ قلوبنا، فالعروسان هما خيرَ ضيوفِ مدينتنا وخيرَ من دخلها..

أيتها السماء باركي زواجهما، لتحفظي العاشقان والعالمان والبطلان..

اليوم تتزاوج الأروح، اليوم تتزاوج القلوب واليوم تتزاوج العيون والأجساد..

نعلن لكم أنّ كَارمن وعُثمان زوجان في الحياة الأولى والحياة الثانية..

نعلنهم زوجان زواجاً دائماً، لقاءً لا فراق بعده، وعشقاً لا ينتهي..

فباركوا لهم وافرحوا معهم..

نظر رَبَانُو إلينا وقال:

أنتم الآن زوجان حتى نهاية الزمن الذي لا ينتهي..

وبدأتْ الموسيقا تُعزف وبدأ الناس يرقصون، جلستُ وقلتُ لكَارمن:

أميرتي هل تسمحين لي برقصة؟

ابتسمتْ كَارمن موافقة وبدأنا نرقص..

ضممتها إلي، وضعت رأسها على صدري ونحن نتمايل ونرقص على الموسيقا الهادئة..

قلبي يدقُ وينبضُ بسرعة، إنّها السعادة التي غير المنتهية أن تضم عشقك الذي تحبه حُباً لا ينتهي..

نظرتْ كَارمن إليَّ وكانتْ عيناها تلتمعُ..

أحبكَ يا عُثمان، أنتَ الآن لي..

عُثمان: وأنا أحبك كثيراً يا كَارمن..

أنتِ نعمتي..

وظللنا نرقص حتى انتهى العزف، وحينها قدم إلينا رَبَانُو وقال:

صار على العاشقان أن يرتاحا في بيتهم..

وأخذنا معه، وسرنا إلى خارج المدينة..

وصلنا إلى مكان كان قد جُهز، حيث وضعتْ الورود على أطراف الطريق..

وصلنا على باب المنزل، وقفَ رَبَانُو وقال:

كلٌ منكم سعادة الآخر..

انتبهوا لأنفسكم..

عُثمان: شكراً لك رَبَانُو، أتعبناك معنا..

كَارمن: شكراً لك، أنتَ شخص عظيم..

رَبَانُو: الشكر لكم، اليوم يوم الفرح، سأترككم لفرحكم، وداعاً.

عُثمان وكَارمن: وداعاً رَبَانُو الحكيم..

السقوط الحر

وقفتُ أنا وكَارمن على باب المنزل، السماء ترسلُ نسمات عليلة والليل خيّم على المكان، الضوء خارج المنزل وداخله والقمر أرسل وشاحًا ليضيء لنا مساحات حولنا..

وعيون كَارمن تكوّرت كبدر في تمامه..

فتحت باب المنزل ودخلنا أنا وكَارمن. كان المكان هادئًا جداً ومرتب وجميلاً والأزهار في كل مكان، يتكون المنزل من غرفتين..

الغرفة الأولى للجلوس وغرفة في الداخل للنوم..

وهناك، على قارعة الليل وخلف آخر ترنح للبدر، أمسكتُ ببقايا الهمس وبدأتُ أغني أغاني الغزل..

وعلى أطلال قافية، خلعتْ القصيدة شطر الأدب ووقفتْ عارية أمام عيني امرأة..

أمسكتُ يدَ كَارمن ودخلنا الغرفة الأخرى ولكن المفاجئة كانت أن عَنَاة تجلس فيها، مستلقية على السرير وبجانبها الهِرة الشقراء..

يا إلهي..

كانتْ عَنَاة ترتدي الأسود، وتضع كحلاً أسوداً بطريقة مخيفة وتضع يدها على رأس الهرة..

تيبسنا أنا وكَارمن في مكاننا..

هل نهرب؟ هل نهاجمها قبل أن تهاجمنا؟

هل ستقتلنا معاً؟

ضحكتْ عَنَاة بصوت مرتفع وظلت تضحك وبعدها نظرت إلينا وقالتْ:

مبارك أيها العروسان..

ردتْ كَارمن عليها: ماذا تريدين منا؟

عَنَاة: أتيتُ لأبارك لكما فقط، ألا تردين التحية؟؟

كَارمن: لن أردها، أخرجي من هنا..

عَنَاة: وإن لم أخرج ماذا ستفعلين أيتها الجميلة؟

كَارمن: أخرجي من هنا الآن..

عَنَاة: أريد شيئًا واحداً وسأترككما تعيشان..

أريد عُثمان..

كَارمن: عُثمان لي..

عَنَاة: سأنجبُ منه طفلاً فقط، اتركيه لليلةٍ فقط واخرجي يا كَارمن من هذا البيت وستبقين على قيد الحياة..

كَارمن: لن أتركه للحظة واحدة حتى..

عَنَاة: إذن يجب عليكم أن تروا عَنَاة غاضبة..

فتحتْ عَنَاة أجنحتها واتقدتْ يداها، وكأنّما اتّقدت النار فيهم وصرختْ القطة جانبها وكأنّها أصبحتْ نمراً..

خرجنا أنا وكَارمن وركضنا لخارج المنزل..

تبعتنا عَنَاة وهي تحلّق في السماء..

وتقول:

عَنَاة العظيمة لا تُرفض..

عَنَاة العظيمة لا تُهزم..

عَنَاة الجميلة لا تُكسر..

جمدنا أنا وكَارمن في مكاننا، ماذا نفعل، لا مجال لمقاومةِ عَنَاة فهي أقوى منا بكثير، وها هي تحلّق في السماء وهي تتقد غضباً.

ستفتكُ بنا..

طارتْ عَنَاة وحلقتْ في السماء بجنون وهي تدور حول نفسها وتصيحُ بطريقةٍ جنونيةٍ وتصرخ...

وهي تقول:

ابنة إيل قد أهينت،

لا تفرحوا، ولا تبتهجوا سأنتقم.

سأجعل الدم يجري في شعركِ الأشقر

وأخضب وجهكِ بالدماء

فادعُوا من تدعون لينجيكم مني

ونادوا من تريدون لينقذكم من قبضة البتول.

وهي تحلقُ وتطيرُ وتصرخُ..

أمسكتُ يد كَارمن وشددتُ عليها بيدي بقوة، ونظرت إليها وقلتُ:

نموتُ معاً ونعيشُ معاً..

هزتْ كَارمن رأسها وشدّتْ على يدي بيدها..

وبدأنا نركضُ هرباً من عَنَاة التي تطاردنا وهي تحلقُ في السماء ونحن نركض بين الأشجار..

وهي تصرخُ في السماء:

أين تفرون من البتول؟

ونحن نركض ونركض وهي تطير بجنون والهرة الشقراء تصرخ خلفنا..

ونحن نحاول الهربَ ونركض بكل قوتنا..

إنّه وادي نزلنا فيه ونحن نسقط على الأرض ثم نقوم ونعاود الركض..

كيف سنتخلص من عَنَاة المجنونة من يخلصنا منها؟؟

وبقينا نحاول الهرب ونركض..

إنّه جبل، سنصعد ونختبئ فيه، صرنا نتسلق الجبل، أمد يدي وأساعد كَارمن ونصعد نحو قمة الجبل..

لم نعد نرى عَنَاة يبدو أنّها أضاعتنا والهرة الشقراء لم نعد نراها..

آمل أن تكون السماء قد ابتلعتها..

وبقينا نحاول الصعود أكثر نحو قمة الجبل، سنصل..

كَارمن لم تعد قادرة على التسلق، لقد تعبت وأنهكت، ركضنا مسافة طويلة والجبل مرتفع كثيرًا..

عُثمان: هيا يا كَارمن، سنصل..

كَارمن: تعبتْ يا عُثمان تعبتْ..

عُثمان: لم يبقى كثيراً لنصل، سنختبئ هناك، لن تجدنا..

كَارمن: تعبتْ حقاً، لا أستطيع الوقوف حتى على قدماي..

عُثمان: هاتي يدكِ يا كَارمن..

أمسكتُ يد كَارمن وحملتها بين يديَّ وبدأت أصعد الجبل لم يبقى الكثير لنصل، كَارمن متعبة جداً خبأتْ وجهها في صدري وأغمضتْ عينيها..

وأنا أصعدُ وأتعثرُ..

سنصلُ مهما كان، وسنتخلص من عَنَاة الشريرة..

أحبكِ يا كَارمن، أحبكِ..

سأبقى معكِ حتى لو قطعتني عَنَاة قِطعاً..

سنبقى معاً..

وصلنا لقمةِ الجبلِ..

جلسنا أنا وكَارمن نستريح، عَنَاة ليستْ هنا، يبدو أنّها أضاعتنا..

ضممتُ كَارمن إليَّ وجلستُ أقبلُ رأسها..

عُثمان: نحن بخير، أضاعتنا عَنَاة..

كَارمن: أحبك، يا رب أبعد عنا هذه الشريرة..

عُثمان: تخطينا معاً كل المصاعب وسنتجاوز هذه المرحلة الصعبة..

كَارمن: أثقُ بكَ..

عُثمان: أحبكِ كَارمن..

ضممتُ كَارمن إلي وأغمضت عينيَّ قليلاً..

آمل أن أفتحهم وينتهي كل شيء، أن نعود لزماننا، أن نكون أنا وكَارمن بأمان..

أريدُ أن أفتح عيوني على عالمٍ جديد..

عالم لا يشبه عالمنا هذا..

كوكبٌ آخر، زمانٌ آخر، برزخٌ مختلفٌ عن هذا الذي نعيشه..

فتحتُ عيوني لكن عَنَاة كانتْ تجلس أمامنا واضعة رجلاً فوق رجل..

وتنظر إلينا..

يا إلهي..

كَارمن إنّها عَنَاة

عَنَاة هنا..

وقفنا أنا وكَارمن وعدنا للخلف ولكن نحن الآن محاصران..

فنحن على قمة الجبل وخلفنا الهاوية وأمامنا عَنَاة..

أين المفر؟

وقفتْ عَنَاة ولم تتكلمْ أبداً، وأتتْ قطتها الشقراء ووقفتْ قربها..

وظلّتْ عَنَاة تنظرُ وتحدقُ وضعتْ يدها على خدها..

وقالتْ:

ماذا أفعلُ بكم الآن، أتظنون إنّكم تهربون من عَنَاة!

أنا آخذ ما أريد عنوة..

وسآخذُ عُثمان منكِ عنوة يا كَارمن..

سأقتلكَ أولاً، ثم أخذ عُثمان لي وأنجبُ منه ابن عَنَاة وأقتلهُ بعدها ليلحقَ بكِ إلى الجحيم..

وهناك ابقيا معاً في العدم..

عُثمان: لن تنجحي، سنموت أنا وكَارمن معاً أو نعيش معاً..

عَنَاة: أنا من يقرر وليس أنتم..

لكن يمكنك أن تُنقذَ كَارمن إذا وافقتَ على عرضي ووهبتني ولداً منك وحينها سأترككما تعيشان..

وهذه آخر مرة أعرضُ عليكم هذه الفرصة للحياة..

كَارمن: عُثمان لا تستمع لعرضها، أريد أن أموت ولا أرى هذا..

أرفض أرجوك..

عَنَاة: اصمتي يا كَارمن الغبية..

عُثمان: اتركينا وشأننا يا عَنَاة..

عَنَاة: هل قبلتَ عرضي، هبني ولداً وسأهبكم الحياة وأعيدكم لزمانكم..

عُثمان: لماذا تريدين ولداً مني أنا خصيصًا؟

عَنَاة: لأنّي أحبك، وعَنَاة لا تتزوج، لذلك أريد منك لحظة سمر وأريد منك ولداً واذهب أينما شئت بعدها..

عُثمان: هناك الكثير من الرجال في أوغاريت أقوى مني وأشد وأجمل..

عَنَاة: وأنا أريدك أنتَ..

كَارمن: لن تنالي مرادك وأنا على قيد الحياة..

عَنَاة: إذن ستصبحين على قيد الموت..

عُثمان: لا أريدك يا عَنَاة، لا أريدك..

صرختْ عَنَاة بقوة، الآن وقت الانتقام

عَنَاة الجميلة لا ترفض، البتول لا ينكسر قلبها..

ستندمون..

حلقتْ عَنَاة نحو السماء وطارتْ عالياً حتى لم نعد نراها ثم عادت وكأنّها تنقضّ علينا وصارتْ تُحلق حولنا وهي تدورُ مسرعة..

ونحن لا نملكُ من أمرنا شيء..

وهي تحلّق وتصرخُ وتموجُ غضباً..

أعتقد أنّها ستهاجمنا على حين غرة..

عُدنا للخلف، لكن الجرف أصبح خلفنا ولم نعد نستطيع أن نفعل شيء..

صارتْ العودة خطوة للخلف يعني السقوط في وادٍ سحيق.

عَنَاة تموجُ وتموجُ وتدورُ حولنا..

صرختُ بقوة: اتركينا يا عَنَاة، اتركينا، لا تقتلينا كما قتلتي أقهات..

ستندمين فابنة إيل لا تقتل..

ألا تذكرين؟

قتلتي أقهات من أجل قوسه وبعدها أصابكِ الندم..

ألا تذكرين غضب الآلهة عليك؟؟

ألا تذكرين القحط الذي مر بالناس بعد أن مات أقهات؟

أتقتلينا الآن بعد ذلك؟؟

صرخت عَنَاة بقوة: نعم أقتلكما..

وانقضتْ علينا من الأمام وقبل أن تصل لنا دارتْ نصف دورة وأمسكتْ كَارمن من كتفيها وشدتها نحو الخلف ثم تركتها لتسقط..

سقطتْ كَارمن..

يا إلهي سقطتْ..

كَارمن وهي تسقط تصرخ: عُثمان..

آهٍ من عُثمان يده قصيرة لم تستطع حمايتك يا كَارمن.

ماتتْ كَارمن..

نعم، ماتت كَارمن، ماتت، ماتت... مااااااتت..

سقطتْ كَارمن وهي تقول اسمي..

تصرخُ بحروفه، كانت تستنجدُ بي، ليت لي أجنحة مثل أجنحة عَنَاة لأندفع في الهواء وأنقذكِ يا حبيبة القلب.

ليتني أستطيع أن أفعل شيئًا لكِ..

اختفى صوت كَارمن.. ولم أعد أستطيع أن أراها..

غابت في الواد السحيق..

العينُ تبكي، الروح ترثي والقلب يتمزق ألماً..

يا حسرة القلب على حبيب القلب..

ماذا أقول بعدك ولمن أعيش..

والله سوف أثأرُ لكِ..

سأقتل عَنَاة، سأقتلها..

سأمزقها تمزيقاً..

سأقتلها ألف مرة حتى يهدأ القلب..

كَارمن أين لي بعدكِ من حياة؟؟

وقفتْ عَنَاة أمامي وهي تنظرُ إليَّ بعينِ المنتصرِ وقالت:

ها قد قتلتُ لكَ كَارمن، لو أنّكَ قبلتَ، ما احتجت قتلها..

والآن سأنجبُ منك ابناً لي، ابن عَنَاة..

لم أجبْ عَنَاة، كانت عيناي تدمعُ، وقفتُ أمامها..

وصرتُ أضربها بالحجارة وهي تبتسم وتضحك وأنا أضربها بكل قوتي..

وهي تضحك..

سأقتلك يا عَنَاة، سأمزقك..

عَنَاة: لن تستطيع.

بقيتُ أرميها بالحجارة حتى تعبتُ ولم يعد فيَّ قدرةٌ وهي تضحك..

جلستُ على حافة الجبل..

وأمسكتُ التراب الذي وقفتْ عليه كارمن بيدي وقبلته..

ونظرتُ للوادِ الذي سقطت منه...

وقفتُ والتراب في يدي..

وقلتُ اقتربي يا عَنَاة..

ردت عَنَاة: ماذا تريد؟ أتريد قتلي؟

عُثمان: حتى لو أردت، هل أستطيع ذلك؟

اقتربي لا تخافي..

عَنَاة: أنا أخافُ منكَ؟ سأقتربُ أيها الصغير..

اقتربتْ عَنَاة مني ووقفتْ أمامي تماماً، وحينها نظرتُ إليها، حدقتُ إلى عينيها، لم تعد تشبه كَارمن، لم تعد أبداً تشبهها..

تبسمتْ عَنَاة وحينها أخذتُ التراب ونثرته في وجه عَنَاة حتى لا ترى جيداً وقفزتُ في الوادي..

وأنا أصرخُ:

نعيش معاً ونموت معاً يا كَارمن..

فتحتُ يدي للهواء واسترخيت، لحظات وأرتطم بالأرض وينتهي كل شيء وأموت..

أغمضتُ عينيَّ، تخيلتُ كَارمن وهي تبتسم لي وتلوح بيدها..

إنّها تنتظرني..

لن أتألم إنّها لحظات وينتهي كل شيء..

اشتقتُ لكِ يا كَارمن آمل أن أراك في الحياة الأخرى..

سقطتُ سقوطاً حراً كي يبقى الحب..

"العدم"

فقط ظلام..

وصمتْ..

لا أدري أين كَارمن؟

ولا أدري أين أنا..

ولا أشعر بشيء ولا أدري ماذا يحصل وماذا حصل..

فقدتُ الشعور بنفسي..

هل أنا في البرزخ؟

كيف أبحثُ عن كَارمن هنا..

أتذكر أنّي ارتطمت بالأرض، وبعدها لم أشعر بشيء فقط صمت..

ولكن المشكلة الآن أنّي لا أشعر بجسدي حتى...

أعتقد أنّي ميت؟

هل هذا الذي نحن فيه هو الموت؟

لا أدري لكن أشعر بانعدام الوقت وانعدام المكان وانعدام جسدي..

أنا في العدم...

حيث لا شيء هنا غير أفكاري..

لا صوت لي ولا حركة..

إلى متى سأبقى هنا وكيف أعرف الزمان الذي يمر هنا؟

فلا حركة حتى أقيسها، لا ليلٌ ولا نهارٌ ولا وقتٌ..

هل أستطيع أن أصرخ، أن أسأل عن كَارمن..

للأسف فقط الظلام الدامس والعتمة المستمرة..

وأنا كالمجنون أهذي...

إلى متى؟؟

هل أنام؟

وهل ينام الميت؟

أنا في العدم فكيف أنام؟

لا أدري، هل أنا مغمضٌ عيني أم لا..

الشيء الوحيد الذي أريد أن أعرفه هو أين أنا، وهل أنا ميت أم لا؟

وكيف أعرف ولا شيء هنا..

في هذا الظلام ينعدم كل شيء..

لا وجود حقيقي إلا للعقل..

أتحسس وجودي بالأفكار التي تمر داخل رأسي..

حاولتُ في حياتي تغيير هذا العالم بالأعمال، ولكن التغيير الأفضل هو تغيير بالأفكار يغير الإنسان..

الفكرة هي كل شيء..

ولكن هل أفكارنا تجعل منّا أشخاص سعداء؟

هل كنت سعيداً؟ وهل أنا سعيد؟

ما هي السعادة؟

هل يجب أن نكون ناجحين لنكون سعداء أم نكون ناجحين لأنّنا سعداء؟

أعتقد أنّ السعادة غير مرتبطة بإنجازاتنا، فكثير من الناجحين والمشاهير كانت حياتهم بائسة ومنهم من أقدم على الانتحار.

السعادة هي تلك الحالة الدائمة من الرضى والطمأنينة.

نحن مصدر السعادة..

السعادة هي الكنز الأعظم الموضوع فينا والذي يحتاج منا فقط أن نفتح صندوقه.

كم لي من الوقت أفكر؟

كم مضى عليَّ وأنا هنا؟

وما هو هذا المكان؟

أهو الموت؟

البرزخ؟

العدم؟

أين كَارمن، اشتقت لها؟

كيف أخرج من هذا الظلام؟

متى تنتهي هذه المرحلة الغامضة؟

متى أستفيق من هذا النوم الطويل؟؟

متى ألقى كَارمن؟

هل يتقابل الموتى؟

ليتني أقابل ملاكاً فيدلني على كَارمن..

أعتقد أنّي عشت هذه اللحظة من قبل، هو ذاته العدم الذي كنتُ فيه..

نفس الأفكار، وكأنّني أعيش هذه اللحظة مرتين، وكأنّ روحي هي تستذكر العدم أول مرة..

وما الفرق بين العدم والعدم؟؟

أو ما الفرق بين العدم الذي عشته في مدفن رَبَانُو، والعدم الذي أعيشه الآن في هذا الواد السحيق..

العدم متشابه، متطابق، تماماً..

لكن ليتني ألتقي كَارمن..

فجأة، شعرت بيدٍ تتحسسُ يدي، تمسكها بدفء، عرفتها إنّها يد كَارمن استطعتُ بعد كل هذه الرحلة أن أميز يد كَارمن، أن أشعر بلمستها الحنونة حتى في العدم..

كَارمن تمسكُ يدي نعم، هي كَارمن..

بدأت أسمع صوت كَارمن، وهي تقول: عُثمان، عُثمان..

الضوء مرة أخرى، يعود..

إنّها أشعة الشمس..

لم أمت، كيف يموتُ من يبصر الشمس

في العدم لا يوجد شمس..

هل أنا ميت أم حي؟؟

ماذا يجري..

حاولت أن أفتح عيني لكن لم أستطع..

ولكن أحدهم يحاول مساعدتي، وضع يده على وجهي..

لقد عادت حواسي..

بدأت اسمع وأشعر بجسدي وأشعر بأشعة الشمس على وجهي..

لم أمت..

لكن أين أنا؟

هل سأصحو في الجنة؟

أين أنا؟

بعد أن قفزتُ وراء كَارمن ظننتُ أنّي مت، ولكنّي بدأت أحس بالأشياء حولي وهذه دلالة على الحياة.

هل هي الحياة ذاتها أم أنّها الجنة؟؟

إنّه صوت أمي، نعم أسمعه جيداً..

صوتها الحنون، لا أعرف ماذا تقول لكنّه صوت أمي..

إنّها تبكي..

لا تبكي يا أمي، لا تبكي أرجوك..

كيف أسمع صوت أمي..

أنا أتوهم حقاً، أنا أتوهم، يبدو أنّ عقلي يلعب بي ويلهو.

ماذا يجري حولي؟

لا أدري..

لا أجد تفسيراً لما أشعره به وأسمعه..

فتحتُ عيني نعم، فتحتهم..

كنتُ أرى السقف الأبيض الرخامي..

وأصوات كثيرة لم أستطع أن أفسّرها..

بقيتُ أنظر لهذا السقف، متعبٌ جداً، نظرتُ إلى جانبي الأيمن كانت تقف كَارمن وإلى يساري تقف أمي مبتسمة ودامعة العينين..

كانت يداي مليئة بالأجهزة الطبية والأنابيب والسيرومات...

أنا لستُ بزمن عَنَاة، لقد عدتُ، لكن كيف حصل ذلك..

وكَارمن لم تمت..

كيف أتت أمي ومتى وأين أنا؟؟

قبلتني أمي..

أتى الطبيب وأخرجهم من الغرفة وبقيت أنا وهو..

وضع سماعته على قلبي وقال نبضك جيد، ثم نظر إلى رأسي وقال:

أنت تتحسن بسرعة، نحمد الله على سلامتك..

رددتُ بصوتي المتعب :

دكتور أين أنا؟

رد الطبيب: أنتَ في المشفى..

عُثمان: متى أتيتُ إلى هنا وكيف؟

الطبيب: ارتاح الآن، وسأخبرك بكل شيء..

خرج الطبيب وبقيتُ وحدي، صرت أفكر ما تفسير ما حصل وماذا جرى لنا..

هل كان الوادي السحيق بوابة للزمن..

هل عبرنا خلاله إلى زماننا؟؟

هل أشفقت علينا عَنَاة وتركتنا نعود..

لا أعرف ماذا جرى لكن المهم أنّ كَارمن بخير، إنّها لم تمت وبصحة جيدة..

ما حصل كان متعب بشكل مخيف..

ما جرى كان رحلة قاسية..

دخلت أمي إلى الغرفة، وجلست بجانبي وقالت:

اشتقت لكَ يا بني، هكذا تفعل بأمك..

عُثمان: أعتذر يا أمي، لم أكن أقصد أن أتعبك وأفارقك،

اشتقتُ لكِ يا أمي..

أم عُثمان: لقد أحرقتَ قلبي خوفاً عليكَ يا بني..

عُثمان: أمي أنا متعبٌ كثيراً، تعبت..

أين كَارمن؟

أم عُثمان: ذهبتْ لتسأل الطبيب عن حالتك الصحية وستعود..

أريد أن أعِيدك لمنزلنا..

عُثمان: أين نحن الآن؟

أم عُثمان: في اللاذقية، في المشفى يا بني..

عُثمان: كيف أتيتُ إلى هنا؟

أم عُثمان: لا أدري، اتصلت بي كَارمن وأخبرتني أنّك في العناية المشددة فأتيتُ إليك يا فلذة كبدي..

ارتاح الآن وكفّ عن الأسئلة..

سأطعمك بيدي يا بني..

بدأت أمي تطعمني بيدها، كان حساء ساخناً ولذيذاً وكنت أشعر بجوعٍ شديدٍ..

ما أجملها أمي!

كانت الشمس قد ملأت الغرفة، وشعرت بدفءٍ أرجع الحياة لعظامي..

وصلت كَارمن، وهي مبتسمة وقالت:

أخبرني الطبيب، يمكنك اليوم الخروج من المشفى، صحتك تحسنت وجميع التحاليل تقول إنّ صحتك بخير.

ولكن عليك أن تأكل جيداً وهذه مهمة الخالة أم عُثمان، سأعود وأكمل أوراق خروجك..

خرجتْ كَارمن وهي مبتسمة..

نظرتْ لي أمي وأنا أنظر لكَارمن وهي خارجة وقالت:

الحمد لله الذي أرسل لنا كَارمن..

ابتسمتُ لأمي..

قَدِمَ ممرضان وفكوا كل الأنابيب المتصلة بيدي وجسدي..

وأعطتني أمي ملابسي وساعدتني في ارتداءها..

وقفت على قدمي، لكنّي ضعيف ولم أستطع المشي، أعطتني الممرضة عكاز لأتّكئ عليه..

وأمسكتْ أمي يدي ومشيت.

مشيتُ بصعوبة حتى خرجتُ من المشفى وكانت كَارمن تنتظرنا وهي تقود سيارة..

ساعدتني أمي فصعدتُ من الخلف..

وأمي جلستْ على الكرسي الأمامي قرب كَارمن..

وبدأت كَارمن القيادة..

أريد أن أسأل كَارمن الكثير من الأسئلة لكن لم أقوى على ذلك.

فقط استطعت أن أقول:

كَارمن إلى أين؟

فردت علي:

إلى دمشق..

دمشق

وصلنا دمشق، لقد نمتُ كل الطريق، دمشق كما هي لم تتغير كما تركتها عندما سافرنا أنا وكَارمن لنبدأ بحثنا..

دمشق جميلة دوماً..

فتحتُ مسامات روحي لأشتم الياسمين..

بدأتُ أشعرُ بقوةٍ أكثر، لكنّي متعب..

أشعرُ أنّي أحتاج أن أنام..

أتذكر حين سألتني كَارمن ماذا ستفعل حين نعود لزماننا، أجبتها حينها نتزوج وننام..

وصلنا إلى منزلنا، ساعدتني أمي وكَارمن على صعود الدرج..

ودخلتُ إلى منزلي..

أخذوني إلى السرير...

وما أن وضعت رأسي على الوسادة حتى غفوتْ..

صحوتُ في اليوم التالي، إنّه الصباح الدمشقي..

أمي قامت بتشغيل الهاتف على صوت تلاوة سورة يوسف..

ورائحة القهوة تفوح في المنزل..

اشتقتُ القهوة..

وقفتُ على قدماي لوحدي، أنا أكثر قوة من الأمس وخرجتُ من الغرفة.

كانت أمي تجلس مع كَارمن، يحتسيان القهوة..

فَرِحا كثيراً عندما نظروا إليَّ وأنا أخرج من الغرفة..

قالتْ أمي: سأعد الفطور..

رددتُ عليها: أمي أريد قهوة لقد اشتقت إليها..

أم عُثمان: يجب أن تأكل أولاً ثم تشرب القهوة..

ذهبت أمي تعد الإفطار وبقيتُ أنا وكَارمن جالسين..

كَارمن الجميلة، كَارمن الرائعة..

انتصرنا أنا وكَارمن على عَنَاة..

ما أجملها!

كانتْ تحتسي القهوة وتنظر إليَّ وأنا أتأمل في عينيها..

سألتها:

كَارمن، كيف أتينا إلى المشفى؟ وكيف خرجنا من أوغاريت؟

ظننت أننا متنا..

كَارمن: أنا أسعفتك يا عُثمان..

عُثمان: كيف؟؟ وعَنَاة تركتنا؟

كَارمن: عَنَاة؟؟

ماذا تقصد؟؟

عُثمان: عَنَاة التي حاولتْ قتلنا بعد أن تزوجنا أنا وأنتِ..

صمتتْ كَارمن طويلاً، وهي تفكر..

ثم قالت: أين تزوجنا؟

عُثمان: في أوغاريت، لقد زَوجنا رَبَانُو..

كَارمن: يجب أن تخبرني بكل شيء ولكن بعد الإفطار، لأنّك متعب الآن..

عُثمان: حسناً..

أتت أمي وأخبرتنا أنّ الإفطار جاهز..

جلستُ أشرب الشاي وآكل الجبن وأفكر، تُرى لِمَ كانت كَارمن تسأل أين تزوجنا؟

تراها نسيت؟

هل كانت تمزح؟ أم أن السفر عبر الزمن أفقدها بعض ذاكرتها..

لا أدري، سوف أسألها.

انتهيتُ من الطعام وغسلتُ يدي ووجهي وصففت شعري ارتديت ملابسي.

أنا الآن بخير..

وقلتُ لأمي: ألا أستحق الآن فنجان قهوة..

فرحتْ أمي كثيراً عندما رأتني بهذه الحالة الجيدة وضمتني إلى صدرها وقبلتني كثيراً وقالت:

أحمد الله الذي حماك يا بني لو فقدتكَ لبكيتُ عليكَ دهراً..

سأطعم المساكين عشرة أيام شكراً لله على ردك سالماً لي.

وذهبت تُعد القهوة..

جلستُ أنا وكَارمن من جديد..

قالت لي كَارمن: أخبرني يا عُثمان بكل ما حصل منذ البداية..

عُثمان: حسناً..

عندما قمنا أنا وأنت بزيارة المدفن الملكي ليلاً، حينها شعرنا بالخوف وأردنا أن نخرج حينها بدأنا نسمع أصوات ارتطام حجارة بالأرض..

بعدها لم أعد أشعر بشيء وبقيت على هذه الحال وقتاً لا أعرفه، فكنت وكأنّي في العدم..

بعدها صحوتُ وأنت تمسكين يدي، خرجنا أنا وأنت من الكهف ولكن وجدنا أنفسنا سافرنا عبر الزمن وكنا في مدينة أوغاريت قبل 1400 سنة قبل الميلاد..

فقابلنا رَبَانُو الحكيم الذي ساعدنا كثيراً، وبعدها ذهبنا سوياً لمقابلة عَنَاة آلهة الحب والحرب والتي طلبتْ أن نقود الشعب الأوغاريتي لننهي حكم الحاكم الظالم كارت.

ثم ذهبتُ لأراها فطلبت أن تنجب مني ولداً لها..

فرفضتُ لأنّي أحبكِ يا كَارمن..

فغضبت كثيراً وتوعدتنا..

لكنّنا ساعدنا شعب أوغاريت ونجحنا سوياً في تنحية الملك كارت..

فقررنا معاً أن نتزوج، فأعد الشعب الأوغاريتي زفافاً جميلاً لنا واحتفل بنا رَبَانُو وكل الناس هنا ورقصوا وغنوا..

ورقصنا أنا وأنت..

وعندما وصلنا إلى منزلنا..

كانت عَنَاة تنتظرنا داخله..

فهاجمتنا وأرادت أن تقتلك أنتِ..

هربنا..

وبقينا نهربُ حتى صعدنا قمة جبل هناك..

لكن عَنَاة لحقتْ بنا، وحينها قَدمتْ عرضاً لنا، إمّا أن أذهب معها وأهبها طفلاً وتتركنا أحياء أنا وأنتِ أو ستقتلكِ ثم تأخذني معها لتنجب طفلاً ثم تقتلني..

فرفضنا..

لكنّها غضبتْ..

وغضبت كثيراً فهاجمتك فسقطتِ من قمة الجبل وظننتُ أنّك فارقتِ الحياة.

وهنا قررت أن أرمي نفسي خلفك وأموت..

فقفزتُ من قمة الجبل..

وشعرتُ بالارتطام، لكن بعدها عدتُ للعدم حتى أفقتُ في المشفى ورأيتكِ أنتِ وأمي..

كَارمن: سأخبرك يا عُثمان بما حصل، عندما ذهبنا أنا وأنتَ إلى الكهف في تلك الليلة، انتظرنا ولكن كما قلت شعرنا أن شيء يرتطم بالأرض..

وفجأة سقطَ حجرٌ كبير وارتطم برأسك، وصِرتَ تَنزفُ من رأسك..

وأنا خشيتُ عليكَ كثيراً، فاتصلتُ بالإسعاف والفريق..

فقدموا وأسعفناك للمشفى وحينها اتصلتُ بأمك..

لكنك دخلتَ في غيبوبة استمرتْ طويلاً..

صحتك كانت تتدهور، وكنتَ تقول في نومكَ اسمي وتنده كَارمن، كَارمن..

وأحيانا تقول عَنَاة..

وبقيتُ أنا قرب والدتك واعتنيتُ بها حتى صحوت أنت..

سكتتْ كَارمن هنا، وأنا بقيت أفكر هل كل ما حصل كان مجرد وهم؟؟

لم أسافر عبر الزمن؟؟

هل كانت أحلام الغيبوبة؟؟

لكن كنت أعيش كل ما حصل وكأنّه واقع..

كنتُ أتألم وأشعر بكل شيء حولي..

وصلتْ أمي ومعها القهوة، أخذت فنجاني وبدأت أشرب..

كم أنا أحمق..

لكنّي أحب كَارمن..

هل أحببتها في الحلم وبقيت أحبّها حتى الآن؟؟

ابتسمتُ وسخرتُ من نفسي وقلتُ لكَارمن:

هذا يعني أنّي تزوجتك في الحلم فقط هههههه

ابتسمت كَارمن وقالت:

نعم..

ضحكتْ أمي وقالتْ: ليتك تتزوج كَارمن، إنّها أروع إنسانة قابلتها..

خجلتْ كَارمن كثيراً واحمرتْ وجنتاها..

حينها تذكرتُ هاتفي المحمول، أمي أين هاتفي..

أريده، يا أمي، هل تستطيعين أن تجلبيه لي.

قامتْ أمي وأتتْ بهاتفي المحمول، أمسكتْ به، وفتحتُ الهاتف المحمول، فتحت الصور..

لكن، ما هذا..

صرختُ: كَارمن تعالي، تعالي انظري ماذا وجدتُ..

جلستْ كَارمن قربي ونظرتْ للهاتف المحمول ووضعت يدها على فمها من الدهشة..

كانتْ صورتي أنا وكَارمن في أوغاريت في الزي الأوغاريتي القديم، التي التقطتها عندما ارتدينا تلك الملابس لأول مرة في أوغاريت!!.

صورتنا وأنا أضع يدي على كتف كارمن ونبتسم في منزلنا في أوغاريت.

أعلم أنّ أوغاريت مدينة منسية

لكنّها مدينة لا تموت..

النهاية

أعلم أنّ أوغاريت مدينةٌ منسيةٌ
لكنها مدينةٌ لا تموتْ